

سلسلة من خطب المسجد النبوي ٢

أركان الإسلام

من خطب المسجد النبوي

تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف


أركان الإسلام
من خطب المسجد النبوي

ح عبد المحسن بن محمد القاسم ١٤٤٣هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم، عبد المحسن بن محمد

أركان الإسلام من خطب المسجد النبوي. / عبد المحسن بن محمد القاسم - ط١. . - المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ

ص ١٥٢، ١٧ x ٢٤سم

ردمك: ١-٨٤٨-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١ـ أركان الإسلام أ. العنوان

ديوي ٢٥٢ ١٤٤٣/٦٨٩٨

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٦٨٩٨

ردمك: ١-٨٤٨-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ ــ ٢٠٢٢م



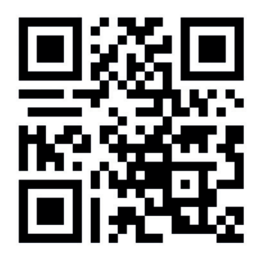
تأليف

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يمكن تحميل هذه الخطب أو الاستماع لها على الرَّابط:

a-alqasim.com/khotab/



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمَة

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَرْكَانَ الإِسْلَامِ الخَمْسَةِ هِيَ القَوَاعِدُ وَالأُصُولُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا الإِسْلَامُ، وَلَا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ إِلَّا بِتَحْقِيقِهَا قَوْلاً وَعَمَلاً وَاعْتِقَاداً، وَهَذِهِ الأَرْكَانُ هِيَ: الشَّهَادَتَانِ، وَالصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالحَجُّ.

وَلِأَهَمِّيَّتِهَا أَلْقَيْتُ خُطَباً عَنْ كُلِّ رُكْنٍ مِنْهَا فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، ثُمَّ أَفْرَدْتُهَا وَرَتَّبْتُهَا فِي هَذَا الكِتَابِ، فَبَلَغَتْ تِسْعَ عَشْرَةَ (١٩) خُطْبَةً، وَسَمَّيْتُهُ: «**أَرْكَانُ الإِسْلَامِ؛ مِنْ خُطَبِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ**».

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَيَجْعَلَهُ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



الشَّهَادَتَانِ

فَضلُ كَلِمَةِ التَّوحِيد(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبدُه ورسوله، صلى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واسْتَمْسِكُوا من الإسلام بالعُرْوَة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

شرفُ المخلوقِ في الإقبالِ على طاعةِ اللَّه ولُزوم عبوديَّته، وتلك حكمةُ الخلقِ والأمر، وبها الفوزُ والفلاحُ في الدُّنيا والآخرة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، والفرحُ والسُّرورُ واللَّذَّةُ وطِيبُ الوقت والنَّعيم إنَّما هو في معرفةِ اللَّهِ وتوحيدِه والإيمانِ به.

وأفضلُ الكلام وأحَبُّه إلى اللَّهِ ما كان ثناءً عليه ومَدحاً له، وخيرُ الثَّناءِ على اللَّه كلمةُ التَّوحيد «لا إله إلَّا اللَّهُ»، كلمةٌ قامت عليها

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس من شهر جمادى الأولى، سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الأرضُ والسَّموات، ولأجلِها خُلقَتِ الموجودات، وبها أنزلَ اللَّه كتبَه وأرسلَ رُسُله؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾، وأنذرَ بها الرُّسُلُ أقوامَهم؛ قال سبحانه: ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

شهِدَ اللَّهُ بها لنفسِه وأشهد عليها أفضلَ خلقِه؛ قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَذِهِ أَجَلُّ شَهَادَةٍ وَأَعْظَمُهَا وَأَعْدَلُهَا وَأَصْدَقُهَا، مِنْ أَجَلِّ شَاهِدٍ، بِأَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ».

جميعُ الشَّرائعِ مبناها على هذه الكلمة، والدِّينُ كلُّه من حقوقِها، والثَّوابُ كلُّه عليها، والعقابُ كلُّه على تركِها أو التَّقصيرِ فيها، كلمةٌ عاليةُ المنازِل، كثيرةُ الفضائِل، فهي رأسُ الإسلام مُطلقاً، وأولُ أركانِه ومبانِيه العِظام، وعليها تقومُ جميعُ الأركان، وهي ركنُ الإيمانِ باللَّه وجانبُه الأعظم، فلا يصِحُّ الإيمانُ بدونِها ولا يستقيمُ إلَّا عليها.

عليها أُسِّسَتِ الملَّة ونُصِبت القِبْلَة، وهي محضُ حقِّ اللَّهِ على جميعِ العباد، كلمةُ الإسلام، ومفتاحُ دارِ السَّلَام، وبها انقسمَ النَّاسُ إلى شقيٍّ وسعيدٍ، ومَقْبُولٍ وطَرِيدٍ، فارِقةٌ بين الكفرِ والإسلام، ما نَطق النَّاطقون بأحسنَ منها قولاً، ولا عَمل العاملون بأفضلَ من مدلولِها فعلاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**» (رواه مسلم).

هي كلمةُ التَّقوَى التي اختَصَّ اللَّه بها أولياءَه؛ قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، وهي العُروةُ الوُثقَى الَّتي مَنْ تمسَّك بها نجا؛ قال سبحانه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾، العلُوُّ صفتُها، والبقاءُ يُلازِمُها، قال تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾.

كلمةٌ طيِّبةٌ ضرَبَ اللَّه لها مثلاً في كتابِه؛ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، بها انشِراحُ الصَّدر ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، قال ابن جُريج رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِـ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)»، وبها سلامَةُ القلبِ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «القَلْبُ السَّلِيمُ: أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

وهي دعوةُ الحقِّ الذي لا باطلَ فيه، والقولُ السَّديدُ الذي لا اعوجاجَ فيه، وشهادةُ صدقٍ لا كذِبَ فيها، وهي المثَلُ الأعلى الذي اختَصَّ اللَّه به دون خَلقِه، وهي الكلمةُ الباقِيةُ في عقِبِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هِيَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ جَعَلَهَا دَائِمَةً فِي ذُرِّيَّتِهِ يَقْتَدِي بِهِ فِيهَا مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ».

«لا إله إلَّا اللَّهُ» أعظمُ نعمةٍ على الخلق؛ قال سبحانه: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾، قال سفيانُ بن عُيَيْنَة رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى العِبَادِ نِعْمَةً أَعْظَمَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

كلمةٌ تعدِلُ الدُّنيا وما فيها؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**» (رواه مسلم).

هي أوَّلُ واجبٍ على العبادِ علماً وعملاً؛ قال سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السَّلَفُ وَالأَئِمَّةُ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ العِبَادُ الشَّهَادَتَانِ»، وهي آخرُ واجبٍ؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ**» (رواه أبو داود).

العالِمُ العامِلُ بها هو المُستقيمُ حقّاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾، قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أَيْ: عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

إذا صَدَقَت هذه الكلمةُ تَطهَّرَ القلبُ من كلِّ ما سِوَى اللَّه، ومن صَدَقَ فيها لم يُحِبَّ سِوَى اللَّه، ولم يَرْجُ إلَّا إياه، ولم يَخشَ سِواه، ولم يَتوكَّلْ إلَّا عليه، ولم يَبقَ بقيَّةٌ من آثارِ نفسِه وهواه.

هي عصمةٌ للمالِ والدَّم؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ** عَزَّ وَجَلَّ» (رواه مسلم).

أوَّلُ ما يُبدأُ به من الدَّعوة، وبها بدَأَ النَّبيُّ ﷺ دَعوتَه، وعليها كان يُبايِعُ أصحابَه، وبها بعَثَ النَّبيُّ ﷺ الدُّعاةَ إلى الأمصار، فقال

لمُعاذٍ رضي الله عنه لمَّا بعثَه إلى اليَمَن: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ» (متفق عليه).

كلمةُ التَّوحِيدِ كلمةٌ سواء، عليها يجتمِعُ الخَلقُ، وبدونِها الفُرقةُ والاختلافُ، قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، مَنْ قالها بحقٍّ أفلَح؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا» (رواه أحمد).

المُتمسِّكُ بها آخِذٌ بأعلى شُعبِ الإيمان؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه مسلم)، والآيةُ المُتضمِّنةُ لها أعظَمُ آيةٍ في القرآن، وسيِّدُ الاستغفارِ مُشتملٌ عليها.

هي أكثرُ الأعمال مضاعفةً وأجراً؛ فـ «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» (متفق عليه)، و«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ؛ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» (رواه مسلم).

هي أجلُّ الصَّدقاتِ من غيرِ بَذلِ مالٍ؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ**» (رواه مسلم)، وهي نجاةٌ للعبدِ في قَبرِه، وعليها يُثبَّتُ عند السُّؤال؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾**» (متفق عليه).

وسجلَّاتُ الذُّنوب تَطِيشُ - بفضل اللَّه - بثِقَلِ هذه الكلِمَة؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَخلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلّاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ البَصَرِ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ**» (رواه أحمد)، و«**لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرضِينَ السَّبْعَ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ؛ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً؛ قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» (رواه أحمد).

أهلُها شُفعاء، ولهم عَهْدٌ عند الرَّحمن؛ قال سبحانه: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾.

وأسعدُ النَّاسِ بشفاعةِ النَّبيِّ ﷺ المُخْلِصُون الصَّادقون في قولِها، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ خَالِصاً مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**» (رواه البخاري).

والجنَّةُ جزاءُ مَنْ قالَها بصدقٍ، خالِصاً من قلبه، مُوقِناً دون شكٍّ،

عامِلاً بها، مُبتعِداً عمَّا يُناقِضُها؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ؛ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ» (متفق عليه)، وتُفتَحُ لقائِلِها أبوابُ الجنَّةِ الثَّمانية، يَدخُلُ من أيِّها شاء؛ بل من كان صادقاً فيها عامِلاً بمُقتضاها، لم تمَسَّه النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» (متفق عليه)، ويُخرِجُ اللَّهُ من النَّارِ مَنْ قالَها وكان في قلبِه مِثقالُ ذَرَّةٍ من إيمان؛ قال اللَّه ﷻ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي! لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه البخاري).

ولأهميةِ كلمةِ التَّوحيدِ في كلِّ لحظةٍ من حياةِ العبد؛ جاءت الشَّريعةُ بالحثِّ على مُلازمتِها في كلِّ أحوالِه وشُؤونِه؛ فـ«مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ كَانَ لَهُ عَدْلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ» (رواه أبو داود)، وإذا فرَغَ من طُهورِه وقالها، فُتِحَت له أبوابُ الجنَّة الثَّمانية، قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ» (رواه مسلم).

وهي مبدأُ الأذان وخِتامُه، قال ﷺ: «إِذَا قَالَ المُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ

اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحدُكُم: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مِنْ قَلْبِهِ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ» (رواه مسلم)، و«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً؛ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» (رواه مسلم).

وفي الصَّلاة إذا قام المسلمُ إليها استفتحَ بالتَّوحِيدِ، والصَّلاةُ لا تصِحُّ إلَّا بالتَّشهُّد، وقبل أن يُسلمَ المُصلِّي من الصَّلاة يدعو مُتوسِّلاً إلى اللَّه بها: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (رواه مسلم)، وفي دُبُرِ كلِّ صلاةٍ يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (متفق عليه)، ويختِمُ بها التَّسبيحَ والتَّحميدَ والتَّكبيرَ، فـ«تُغْفَرُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» (رواه مسلم).

وفي المناسِكِ يَسْتَصْحِبُها؛ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَعِدَ عَلَى الصَّفَا وَالمَرْوَةِ؛ اسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ، وَكَبَّرَهُ» (رواه مسلم)، وفي مُزدلِفَة: «أَتَى النَّبِيُّ ﷺ المَشْعَرَ، فَرَقِيَ عَلَيْهِ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَوَحَّدَهُ،

وَكَبَّرَهُ، وَهَلَّلَهُ» (رواه النسائي)، و«إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» (متفق عليه).

وفي مواسِمِ الخيرات - كعَشْرِ ذي الحِجَّة -: يُستحبُّ الإكثارُ منها، وفي الخُطبِ يَستفتِحُ مَطلَعَها بالتَّوحِيدِ، وفي مُخالَطتِه للنَّاس إذا جلَسَ مجلِساً كثُر فيه لَغَطُه ثمَّ قال العبدُ قبل أن يقومَ من مَجْلِسِه ذلك: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ**» (رواه الترمذي)، و«**مَنْ تَعَارَّ** - أَي: اسْتَيْقَظَ - **مِنَ اللَّيْلِ** - فَقَالَهَا - **ثُمَّ دَعَا؛ اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى؛ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ**» (رواه البخاري)، وفي حالِ الهَمِّ والكَربِ يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**» (متفق عليه).

والثَّناءُ على اللَّه بها قبل سُؤالِه سببٌ لإجابة الدُّعاء؛ قال سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ؛ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ**» (رواه الترمذي).

وهي كفَّارةُ الحَلِفِ بغيرِ اللَّه؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ**

فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى؛ فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (متفق عليه).

ومَنْ حَضرَتْه الوَفاةُ استُحِبَّ تَلْقِينُه إيَّاها؛ قال الرَّسُولُ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (رواه مسلم).

وإليها يُدعَى مَنْ كان على غيرِ المِلَّةِ ولو في آخرِ لَحْظَةٍ مِنْ حياتِه؛ حضَرَت أبا طالبٍ الوفاةُ فقال النَّبيُّ ﷺ: «يَا عَمِّ! قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» (متفق عليه).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالعِزُّ في التَّوحِيدِ، قال عُمر رضي الله عنه: «نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالإِسْلَامِ»، والشَّهادةُ عنوانُه ودليلُه، ولا ينفعُ قولٌ يُناقِضُه العمل، ومَنْ لم ينطِقْ بها فاتَتْه لذَّةُ الدُّنيا والآخرة، وقُوَّةُ وضعفُ المسلمين على حسَبِ تحقيقِهم لهذه الكلمةِ قولاً وعَمَلاً، فهي مِيزانُهم عند اللَّه وعندَ النَّاس، فإن قَوِيَتْ عندهم رضِيَ اللَّه عنهم وعَزُّوا وارتَقَوا، وإن ضَعُفَتْ بَعُدُوا عن اللَّه وضَعُفُوا ووَهَنُوا.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ للَّهِ على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

العلمُ بمعنى كلمةِ التَّوحِيدِ والعملُ بها، والبُعدُ عما يُضادُّها أو يُناقِضُها شرطٌ لحُصولِ مُقتضاها الوارِدِ في النُّصوص، فمعناها: نفيُ الإلهية بحقٍّ عمَّا سِوَى اللَّه، وإثباتُها للَّه وحدَه، وهذا الذي أنكرَه كفَّارُ قريشٍ، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ولم ينفَعْهم إقرارُهم بتوحيدِ الرُّبوبيَّة فحسب.

وكلُّ مَنْ كان بمعناها أعرف، وبمقتضاها أَقْوَم؛ كان ميزانُه أَثْقَل، وتفاوتُ النَّاسِ فيها على قَدْرِ تحقيقِ شروطِها، ورُوحُ هذهِ الكلمةِ وسِرُّها: إفرادُ اللَّه بالعبادة، فمَنْ أَشْرَكَ مخلُوقاً في حقِّ اللَّهِ وعبادتِه كان ذلك ناقِضاً لقولِ: «لا إله إلَّا اللَّهُ».

والسَّعيدُ مَنْ حافَظَ على تَوحِيدِه وماتَ عليه، ولم يَتدنَّسْ بناقِضٍ من نواقِضِه، أو قادِحٍ فيه، أو بما يُنْقِصُه، وهي أُمنيةُ عبادِ اللَّه الصَّادِقِين: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

اعْرِفْ نَبِيَّكَ ﷺ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فمَنِ اتَّقى ربَّه نجا، ومَنْ أَعْرَضَ عنه تردَّى.

أيُّها المسلمون:

اخْتَارَ اللَّهُ من البِقَاع والبِلادِ خَيرَها، ومن النُّفوسِ أشرَفَها، اصْطَفَى من البَشَرِ رسلاً، جعل أقوالَهم وأعمالَهم وأخلاقَهم موازينَ تُوزنُ بها الأقوالُ والأخلاقُ والأعمال.

ومعرفةُ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ من الأصولِ الثَّلاثَةِ الَّتي يجبُ على الإنسان معرفتُهَا، وكلُّ عبدٍ يُسْأَلُ عنه في قَبْرِه، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اضْطِرَارُ العِبَادِ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ؛ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ».

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّابع والعشرين من شهر شوَّال، سنة خمس وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

سيِّدُ ولدِ آدم وفَخْرُهُم في الدُّنيا والآخرة: مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللَّه بنِ عبدِ المطَّلب، اصطفاه اللَّه من بَنِي هاشم، واصطفى بَنِي هاشمٍ من قريش، وهُمْ من سُلَالة نبيِّ اللَّه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

صَفْوَةُ الخَلْق، هو خيرُ أهلِ الأرض نَسَباً على الإطلاق؛ قال ﷺ: «**فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتاً**» (رواه الترمذي).

نشأ يتيم الأبوين، فاقداً تربيتهما وحنانهما: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾، متقلِّباً بين أحضانٍ مُتواليةٍ برعايةٍ مِنَ اللَّه وكَلاءةٍ، بُغِّضَتْ إليه عبادةُ الأوثان والخُنُوعُ للأصنام، حَفِظَهُ ربُّه في صِغَره، وصَانَه في شَبَابِه؛ فما اسْتَلَم صَنَماً ولا مَسَّ وَثناً.

تزوَّج قبلَ البِعْثة بامرأةٍ نَبِيلَةٍ شَرِيفَةٍ لَبِيبَة، هي أعظمُ النِّساءِ شرفاً وأوفرُهنَّ عقلاً؛ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بعثهُ اللَّه والأرضُ مملوءةٌ بعبادةِ الأوثان وأخبارِ الكُهَّان، وسَفْكِ الدِّمَاء، وقطيعةِ الأرحام؛ فدَعَا إلى عبادة اللَّه وحده صابراً على ما يلقاه من تكذيبٍ وإعراضٍ وجفاء.

رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَه وأَعْلَى شَأْنَه، مُعْجِزَاتُه بَاهِرَة، ودلائلُه ظاهرة، مَنْصُورٌ بالرُّعْب، مغفورُ الذَّنب، أوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عنه القَبْر، وأوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ يوم القيامة، وأَكْثَرُ الأنبياء تَبَعاً، وأوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الجَنَّة، وأوَّلُ مَنْ يَعْبُرُ الصِّرَاط.

كان عَبْداً للَّه شكوراً؛ يقومُ من اللَّيلِ حتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاه، قُرَّةُ عَيْنِه

في الصَّلاة، يقومُ للَّه مُخلِصاً خَاشِعاً، يقولُ عبد اللَّه بن الشِّخِّير رضي الله عنه: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ» (رواه أحمد)، قال عن نفسه: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ**» (رواه مسلم).

مُعَظِّمٌ لِربِّه، رَفيعُ الأَدَب مع خَالِقِه، لا يدَّعي لِنَفْسِه شَيئاً ممَّا لا يَمْلِكُه إلَّا اللَّه؛ قال سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾، وجَاءَهُ رَجلٌ فقال له: «مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ: **أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عِدْلاً؟! قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**» (رواه النسائي)، وقال اللَّه له: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «أَيْ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ؛ يُوحَى إِلَيَّ، وَعَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ فِي هِدَايَتِكُمْ وَلَا غِوَايَتِكُمْ، بَلِ المَرْجِعُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ عز وجل».

أشدُّ النَّاسِ تواضعاً وأحسنُهم بِشْراً، يُجَالِسُ الفقراء ويُؤَاكِلُ المساكين، يَخْصِفُ نَعْلَه، ويَخْدمُ أهلَه ونفسَه، وشَرِبَ من القِرْبَة البَالِيَة، وحَمَلَ مع صحابتِه اللَّبِن في بناءِ المسجد، لا يَعِيبُ على الخَدَم ولا يُوبِّخُهُم، قال أنسٌ رضي الله عنه: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ، فَمَا أَعْلَمُهُ قَالَ لِي قَطُّ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَا عَابَ عَلَيَّ شَيْئاً قَطُّ» (رواه مسلم)، يُوقِّرُ الكبار ويَتَواضَعُ للصِّغَار، إِنْ مَرَّ على صبيانٍ سَلَّمَ عليهم، رَأَى أبا عمير رضي الله عنه - وكان صَبيّاً -، فقال مُدَاعِباً له: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ**» (متفق عليه)، يقول أنسٌ رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَرْحَمَ

بِالعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم)، عَظِيمُ التَّوَاضُع، بَعِيداً عن الفَخْرِ والخُيَلاءِ والكِبْرِ والاستعلاء، يقول: «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**» (رواه البخاري).

كريمُ النَّفس، سَخِيُّ اليد، غَزِيرُ الجود؛ يُنْفِقُ سَخَاءً وكَرَماً وتَوَكُّلاً، ما سُئِل شيئاً مِنْ مَتَاعِ الدُّنيا ممَّا يَمْلِكُ فَرَدَّ طالبَه؛ يقول أنسٌ رضي الله عنه: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ» (رواه مسلم)، لا تُغْضِبُه الدُّنيا وما كان لها، أَعْرَضَ عن هذه الدَّار وعَمِلَ لِدَارِ القَرَار، كان يقول: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**» (رواه الترمذي).

كان يَمُرُّ به هِلَالٌ وهِلَالٌ وهِلَالٌ وما يُوْقَدُ في بُيُوتِه نار، ويَبِيتُ اللَّيالي المُتَتَابِعَة طَاوِياً وأَهلُه لا يجدون عَشاءً، يقول عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ دَقَلاً - أَيْ: رَدِيءَ التَّمْرِ - يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ» (رواه مسلم)، وخَرَجَ من بيته من حَرارةِ الجوع، ورَبَطَ على بطنه الحَجَرَ من أَلَمِ الجوع، وكان الصَّحابة رضي الله عنهم يعرفونَ الجُوعَ فيه من تَغيُّر صوتِه، يقول أبو طلحة رضي الله عنه: «سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفاً أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ»، وتأتي أيَّام على بيتِ النُّبوَّة وما فيها إلَّا الماء، «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ» (متفق عليه)، كاملُ الخوفِ من ربِّه مع ما لَاقَاهُ من الجوع، فقد كان

يَجِدُ التَّمْرَ على فراشه فيقول: «فَأَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيَهَا» (متفق عليه).

لَقِيَ من الحياة مشاقَّها، ومن الشَّدائدِ أَحْلَكَها؛ نَشَأَ يَتِيماً فَاقِداً حَنَان الأُمُومَة، وتُوُفِّي والدُه ولَمْ تَأْنَسْ عَيْنُه بَرُؤْيتِه، وآذَاه قَومُه بالقَولِ والفِعل، قال أنسٌ ﷺ: «ضَرَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ» (رواه أحمد).

اتَّهمُوه بالجُنون ورَمَوْه بالسِّحْرِ ووَصَفُوه بالكَذِب: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾، وفي الغَارِ كَرْبٌ وهَمٌّ، خَوْفٌ وحُزْنٌ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وفي أُحُدٍ كُسِرَت رَباعيتُه، وشُجَّ في وجهه، وسَالَ دَمُه.

لَاقَى من الجوعِ حَرَارَتَه، ومن العَدُوِّ بَأْسَه؛ وَضَعُوا السُّمَّ في طعامه، وسَحَرُوه في أهلِه، تَوَالَتْ عليه المَصَائب وتَكَالَبَتْ عليه المِحَن، وربُّه يقول له: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾، يَبُثُّ أَشْجَانَه وأَحْزَانَه إلى زوجتِه عائشة ﷺ؛ يقول: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ» (رواه البخاري).

مَاتَ سِتَّةٌ مِنْ أَوْلَادِه في حياتِه فَلَمْ تَثْنِه تلك الكروب عن الدَّعوةِ إلى اللَّه، صَبَرَ على كَمَدِ الحياة ولَأْوَائِهَا، يقول عن نفسه: «لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ» (رواه أحمد).

رقيقُ القلب مليءٌ بالرَّحمة، إذا سَمِعَ بكاءَ الصَّبيِّ في الصَّلاة؛

تَجَوَّز في صلاتِه ممَّا يَعْلَمُ من شدَّةِ وَجْدِ أُمِّه من بكائِه، يَزُورُ البقيعَ فيَتَذَكَّر الآخرةَ ويَبْكِي، كان يَزُورُ ابنَه إبراهيمَ عند مُرْضِعَتِهِ وهو رضيع، فيأتِيه إبراهيمُ وعليه أَثَرُ الغُبَار فيَلْتَزِمُه النَّبيُّ ﷺ ويُقبِّلُه ويَشَمُّه من عَطْفِ الأُبُوَّةِ عليه (رواه البخاري)، ولمَّا مَاتَ دَمَعَتْ عَيْنَاه، وقال: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**» (متفق عليه).

كاملُ العقل، سَامِي الأَخْلَاق، لَمْ يَضْرِبْ أَحداً بيدِه؛ تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِماً» (رواه مسلم).

أَعَفُّ النَّاس وأَشْرَفُهُم، لم تمس قطُّ يدُه امرأةً لا تحلُّ له.

كاملُ الوفاء مع أهلِ بيتِه وصحابتِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كان يَذْبَحُ الشَّاةَ ثمَّ يُقَطِّعُها أعضاءَ ثمَّ يَبْعَثُهَا إلى صواحبِ خديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد وفاتها وفاءً لها، وصلَّى على قتلى أُحُدٍ بعد ثماني سنين من الغَزْوَة كالمُوَدِّع لهم، يُكْرِم صحابتَه ولا يُؤْثِر لنفسِه شيئاً دونهم؛ يقول عثمانُ بنُ عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوَاسِينَا بِالقَلِيلِ وَالكَثِيرِ».

وَسِعَ النَّاسَ بِخُلُقِه، حليمٌ لا يَجْزِي بالسَّيِّئةِ ولكن يَعْفُو ويَصْفَح، لا يَغْضَبُ لنفسِه ولا يَنْتَصِرُ لها، يَجْذِبه الأَعْرَابيُّ يريدُ مالاً فيَلْتَفتُ إليه مُبْتَسِماً ويُعْطِيه سُؤْلَه.

عَفَا عمَّنْ سَحَرَه، ولَمْ يُثَرِّبْ على مَنْ وَضَعَ له السُّمَّ في طعامه، وَصَفَحَ عمَّن قاتلَه، وقال لهم في فتحِ مكَّة: «**اذْهَبُوا؛ فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»،

تقول عائشة رضي الله عنها: «وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ» (رواه مسلم).

لَيِّنُ الجانبِ دائمُ البِشْر؛ يقول جَريرُ بن عبد اللّه رضي الله عنه: «وَلَا رَآنِي - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَّا تَبَسَّمَ» (رواه البخاري).

يَتَفَقَّدُ أصحابَه، ويُؤْثِرُ أهلَ الفضل بأَدَبِه، جميلُ المُعَاشَرَة، حَسنُ الصُّحْبَة، يَصِلُ ذوي رَحِمَه ولا يَجْفُو على أحد.

عَفُّ اللِّسان، لَمْ يَكُنْ فَاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً، بل كانَ أشدَّ حَياءً من العَذْرَاءِ في خِدْرِها، خِلَالُه على سَجِيَّته، لا يُحِبُّ تعظيمَ الألفاظ ولا تَشَدُّقَها؛ «جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا! وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا! فَقَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللَّهُ** عز وجل» (رواه النسائي).

وفي طعامه لضيفه لا يَتَكَلَّفُ مَوْجُوداً ولا يَطْلُبُ مَعْدُوماً، أَحبَّه الصَّحابةُ حُبّاً جمّاً، إنْ قال استَمَعُوا لقولِه، وإِنْ أَمَر تَبَادَرُوا إلى أمرِه، يقولُ أنسٌ رضي الله عنه: «مَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه أحمد).

جَمَعَ من الأخلاقِ أطيبَها ومن الآدابِ أَزْكَاها، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «لَا تُحْفَظُ لَهُ كِذْبَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَا ظُلْمٌ لِأَحَدٍ، وَلَا غَدْرٌ بِأَحَدٍ؛ بَلْ كَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ وَأَعْدَلَهُمْ وَأَوْفَاهُمْ بِالعَهْدِ، مَعَ اخْتِلَافِ الأَحْوَالِ عَلَيْهِ - مِنْ أَمْنٍ وَخَوْفٍ، وَتَمَكُّنٍ وَضَعْفٍ -».

يُبجِّلُ أهلَ بيتِه ويُحسنُ معامَلَتَهُم، إذا قَدِمَتْ إليه ابنتُه فاطمةُ رضي الله عنها قام إليها وقال لها: «**مَرْحَباً**» وأَجْلَسَهَا بِجَانِبِه، وقال: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**» (رواه الترمذي)، شَهِدَ له خَالِقُه بِعُلوِّ خُلُقه؛ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

أَبْهَى النَّاسِ وأَنْضَرُهم مَنْظراً؛ يَتَلأْلأُ وجهُه تَلأْلُؤَ القمرِ ليلةَ البَدْر؛ يقول البراء رضي الله عنه: «لَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ» (رواه البخاري)، طَيِّبُ الجَسَدِ زَكِيُّ الرَّائِحَة؛ يقول أنسٌ رضي الله عنه: «مَا شَمَمْتُ عَنْبَراً قَطُّ وَلَا مِسْكاً وَلَا شَيْئاً أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (رواه مسلم).

فَصِيحٌ بَلِيغٌ بَاهِرُ البيان، كلامُه يأخذُ بِمَجَامِعِ القلوب، أوقاتُه كلُّها مَعْمُورَةٌ في طاعةِ اللَّه ومرضاتِه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، مِن بِعْثَتِه إلى مماتِه يَدْعُو إلى عبادةِ ربِّه ويَنْهَى أُمَّتَه عن الوقوعِ في الشِّرك، لا خَيْرَ إلَّا دلَّ الأُمَّةَ عليه ولا شرَّ إلَّا حذَّرها منه.

فالْزَمُوا طريقَه، واستمسِكوا بهَدْيِه وسنَّتِه، واحذَرُوا مخالفتَه؛ تَفُوزوا بالدُّنيا والآخرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه.

أمَّا بعد، أيُّها المسلمون:

نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ بَشَرٌ مِنَ البَشَر؛ يَمْرَضُ ويَجُوع، ويَحْزَنُ وينام، ليس له من خصائص الرُّبوبيَّةِ ولا الأُلوهيَّةِ شيء، وإنَّما هو رسولٌ يُبَلِّغُ رسالةَ ربِّه؛ قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾، لا يُرْفَعُ فوقَ قَدْرِه، ولا يُنْقَصُ من منزلتِه، واجبٌ اتِّباعُه وامتثالُ أمره، قال في فتحِ المَجيدِ: «يَحْصُلُ تَعْظِيمُ الرَّسُولِ ﷺ بِتَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَالِاهْتَدَاءِ بِهَدْيِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ».

وبِطاعَتِه تَتَنَزَّلُ الرَّحمات وتتوالى الخيرات: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، ومحبَّتُه بطاعتِه مقدَّمةٌ على الوَلَد والوَالِد؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» (متفق عليه)، وباتِّباعِه يَرْغُدُ العيش ويَهْنَأُ الجميع، قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وسَعادةُ العبدِ في الدَّارَيْن مُعلَّقةٌ بالتَّمسُّكِ بهديه، والعِزَّة على قَدْرِ متابعتِه، والفلاحُ باقتفاءِ أَثَرِه.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الصَّــلَاةُ

شَأْنُ الصَّلاةِ فِي الإِسْلامِ(١)

الحمدُ للَّهِ العزيزِ الجبَّار، المُتَعَالِي عن إدراكِ الخواطرِ والأبصار، أَحْمَدُه تعالى حَمْداً يليقُ بِمِنَنِه العُظمى، وأَشْكُرُه شكراً يزيدُ من كلِّ نَعْمَى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، الواحدُ القهَّار.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، المُفضَّلُ بأشرفِ الرِّسالةِ وأوضحِ الدَّلالة، جاء بالأمرِ صادعاً وللَّهِ خاشعاً ولأُمَّتِه شافعاً، صلَّى اللَّه عليه وعلى آلِه وأصحابِه أُولِي الجدِّ في الطَّاعةِ والتَّشمير، ومَنْ سار على نهجهم إلى يومِ المآبِ والمصير.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه -، واعبدوه حقَّ عبادته، وأَخلِصُوا له القولَ والعمل.

أيُّها المسلمون:

لقد شرعَ اللَّهُ لنا من الشَّرائعِ أيسرَها عملاً، وأسهلَها فِعلاً، وأعظمَها ثواباً، وأقامَ الإسلام على قواعدَ ودعائمَ إذا اختلَّت تَقَوَّضَ البُنْيَان، وذهبَ الإسلام.

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني عشَر من شهر شوَّال، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

والصَّلاةُ - عبادَ اللَّه - هي الرُّكن الثَّاني من تلكَ القواعد والأركان، هي عمود الإسلام التي يقوم عليها، ترفع بناءَه وتقيم جوانبَه.

أُمِر بها الأنبياء والمرسلون؛ قال ﷻ لموسى ﵇: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾، ودعا إبراهيم ﵇ ربَّه بقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، وأثنى اللَّهُ على إسماعيل ﵇؛ فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾، وتشرَّف بها عيسى ﵇؛ فقال: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾، وأَمر اللَّهُ تعالى بها نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ؛ فقال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾، وهي من وصايا عبادِ اللَّه الصَّالحين لأبنائهم: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، وأَمر بها سبحانه عموم المؤمنين؛ فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

هي قِوام الدِّين وعماده، من أقامها أقام دينه، ومن أضاعها فقد هدم مِلَّتَه، وهي بُرهان الإيمان وعنوان الاستقامة، وأوَّل ما أوجبه اللَّه من العبادات الظَّاهرة، وأوَّل ما يُحاسَب عليه العبدُ يومَ القيامة، وآخِرُ ما يُفقد من الدِّين، وآخرُ ما وصَّى به النَّبيُّ ﷺ أُمَّته، فرضها ربكم من فوق سبعِ سموات من غير واسطة.

عبادةٌ لا تدخلُها النِّيابة بحال؛ فلا يصلِّي أحدٌ عن أحد؛ لا لعذر ولا لغير عذر.

تولَّى اللَّه إيجابَها بمخاطبةِ رسوله ﷺ ليلةَ المعراج، تَعْظيمُه تعالى لها في كتابه فوق جميعِ العبادات، قرينةٌ للشَّهادتين، خصَّها بالذِّكر

تارةً، وقرنها بالزَّكاة أخرى، وافتتح واختتم أعمال البرِّ بها، ذكرها اللَّه في كتابه تخصيصاً بعد تعميم: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

يَتمثلُ فيها جلالُ الخالِق وذُلُّ المخلوق، عُدَّةٌ في الخوف، وجُنَّةٌ دون الأعداء، أُنْسٌ وراحة، تُضْفِي على القلب طمأنينةً ورضًى، بها تصلُحُ الأعمال والأقوال، قيامُها تعظيم، وركوعُها خضوع، وسجودُها تذلُّل، قال النَّبيُّ ﷺ: «**الصَّلَاةُ نُورٌ**» (رواه مسلم)، نور في القلوب والبصائر، تُزيلُ ظلامَ الزيغِ والباطل، وتُلْقي في القلب الهدى والحق، وتُنيرُ ظُلْمَة القبر، ويَتلألأُ بها الجبينُ ضياءً يوم القيامة.

ماحيةٌ للسَّيِّئات، ورافعةٌ للدَّرجات؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**» (رواه مسلم).

فيها الخضوعُ والدُّعاءُ، والتَّضرُّعُ والمناجاةُ، والقُربُ من الرَّحمن؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**» (رواه مسلم).

أداؤها لأوقاتها عَمَل مُحبَّبٌ للدَّيَّان؛ قال ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا**، قُلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **بِرُّ الوَالِدَيْنِ**، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» (متفق عليه).

جالبة للفرح والسُّرور يوم الجزاء؛ يقول ابن مسعود ﵁: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غداً مُسْلِماً؛ فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى» (رواه مسلم).

عمارةُ المساجدِ لأدائِها هي المُقدَّمُ من أعمالِ أُولي العزمِ إذا حلُّوْا في الدِّيار: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾، وأوَّلُ ما قَدِم نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ المدينة مهاجراً؛ شَرَع في بناء مسجده.

أيُّها المسلمون:

الإنسان ضعيفُ الخِلقة، سريعُ الهَلَعِ والجَزع، كثير الخطايا والذُّنوب، يمشي في هذه الحياة وسطَ طريق من الآلام والصِّعاب: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، وفي الصَّلاة تيسير للأمور، وشرحٌ للصُّدور، وزوالٌ للهموم، وإذهابٌ للغموم، وإعانةٌ على أمور الحياة وقضاء الحاجات، فكم نِيل بها من المسرَّاتِ وأنواعِ الخيراتِ وعظيمِ البركات؟! قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، و«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ - وَوَقَعَ فِي شِدَّةٍ -؛ صَلَّى» (رواه أحمد).

الصَّلاة قوَّة للمسلم في مِحْنَته؛ تَحُثُّه على الصَّبر والتَّحمُّل، وتُقَوِّي عزيمتَه، وتَرْبِطُ على قلبِه، وتُرِيحُ فِكْرَه وجسدَه من مشاغل الحياةِ وعَناءِ الكَسْب، كان النَّبيُّ ﵊ يقول: «**أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ يَا بِلَالُ!**» (رواه أحمد)، وكانت قرَّةَ عينه ﵊، ولَمَّا أراد اللَّه أن يبتليَ مريمَ البتولَ

بغلام بِلا بَعْل أمرها بالتوجه إلى الصلاة؛ لتخفيف شِدَّة الابتلاء: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

الصَّلاةُ تَجْلِبُ الرِّزق وتُوَسِّعُ الكَسْب؛ قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا أَقَمتَ الصَّلَاةَ أَتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ».

وهي مهبِطُ الرَّحمة وإجابةُ الدُّعاء؛ قال سبحانه: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

أيُّها المسلمون:

صفاتُ المؤمنين المفلحين مبدوءةٌ بالصَّلاة، واستحقاقُ ميراثِ الفردوس محقَّقٌ بالمحافظة عليها، المداومةُ عليها أوَّلُ صفاتِ المُكرَّمين من أهل الجنَّة، والمحافظةُ عليها ختامُ صفاتهم.

جمع اللَّه في الصلاة الخيرَ كلَّه بأبلغِ قولٍ وأوجزِ لفظ؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾، لا يبقى مع الصَّلاة دَنَسُ الفحشاء والمنكر؛ تُهَذِّبُ الأخلاقَ والطِّباع، وتَحُولُ بينها وبين الانحراف، فيها الأفعالُ الحميدة والخصالُ الكريمة، ولمؤدِّيها السِّيرةُ الحميدة، جمعت من الفوائد أنواعاً، ومن المنافع أصنافاً، ومن الفضائل ألواناً.

أيُّها المسلمون:

إنَّ مِنْ أعظمِ المصائب وأقبحِ المعايب: تركَ الصَّلاة والتَّهاونَ بها، ولا يتركُها إلَّا مَنْ عَظُمَت عُقُوبَتُه وطالَتْ حَسْرَتُه ونَدَامَتُه، وجاحِدُها مُعْرِضٌ عن اللَّه، خارجٌ عن دائرة الإسلام، محروم من وِرَاثةِ الفردوسِ والتَّكريمِ في جنَّاتِ النَّعيم، مَأْوَاه سَقَر، وما أدراكَ ما سَقَر؟!

ومَنْ لم يكن من أهلِ السُّجودِ للواحد المعبود أحرقه اللَّهُ بالنَّار؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ النَّارَ تَأْكُلُ مِنِ ابْنِ آدَمَ كُلَّ شَيْءٍ؛ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ**»، ويقول ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ**» (رواه مسلم).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وَالرَّجُلُ البَالِغُ إِذَا امْتَنَعَ مِنْ صَلَاةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ؛ فَإِنَّهُ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ»، وقال ابن القيِّم رحمه الله: «لَا يَخْتَلِفُ المُسْلِمُونَ أَنَّ تَرْكَ الصَّلَاةِ المَفْرُوضَةِ عَمْداً مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَأَكْبَرِ الكَبَائِرِ، وَأَنَّ إِثْمَهُ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ إِثْمِ قَتْلِ النَّفْسِ وَأَخْذِ الأَمْوَالِ، وَمِنْ إِثْمِ الزِّنَى وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الخَمْرِ، وَأَنَّهُ مُتَعَرِّضٌ لِعُقُوبَةِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ وَخِزْيِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»، وما ترك أحدٌ الصَّلاة إلَّا شَقِي، وما أدَّاها إلَّا أفلَح وظفر.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه المُتَعَالِي عن الأندادِ والأضداد، المُتنزِّهِ عنِ الصَّاحبةِ والأولاد، أَحْمَدُه تعالى على نِعَمِه الغِزَار.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له شهادةً مبرَّأةً من أَدْنَاسِ الشِّركِ والضَّلال.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، النَّبيُّ المصطفى والرَّسول المُجْتبى، المبعوثُ بالرَّحمةِ والهُدَى، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه أئمَّةِ الهُدَى وبُدورِ الدُّجى.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أمر اللَّهُ تعالى عُمومَ المؤمنين بصلاة الجماعة؛ فقال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، وأمر بها سبحانه المؤمنين المجاهدين ولو كانوا للعدوِّ مواجهين، ولم يَعْذُرِ النبيُّ ﷺ في التَّخلُّف عن الجماعة الأعمى الضَّريرَ الذي ليس له قائدٌ يلازمه في المسير.

بصلاةِ الجماعة يَتعلَّمُ الجاهل، ويَتذكَّرُ الغافل، وبها يَتعاونُ المسلمون في محبة اللَّه وعبادته والتَّواضعِ له والانكسارِ بين يديه؛ فتَخشعُ منهم القلوبُ، وتَتَّحدُ منهم الصُّفوف، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «لَأَنْ تَمْتَلِئَ أُذُنُ ابْنِ آدَمَ رَصَاصَاً مُذَاباً، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ: حَيَّ عَلَى

الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ؛ ثُمَّ لَا يُجِيبُهُ»، قال ابن القيِّم رحمه الله: «سِتُّ خِصَالٍ فِي الصَّلَاةِ مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ: الكَسَلُ عِنْدَ القِيَامِ إِلَيْهَا، وَمُرَاءَاةُ النَّاسِ فِي فِعْلِهَا، وَتَأْخِيرُهَا، وَنَقْرُهَا، وَقِلَّةُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا، وَالتَّخَلُّفُ عَنْ جَمَاعَتِهَا».

أيُّها المسلمون:

مِن كَرَم اللَّه أنَّه ضاعف الأجور لمن حافظ على صلاة الجماعة في المساجد؛ فـ«مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»، و«مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ وَرَاحَ؛ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ».

وإسباغُ الوُضوءِ على المكاره، وكثرةُ الخُطَى إلى المساجد، وانتظارُ الصَّلاةِ بعد الصَّلاة؛ رِبَاطٌ يمحو اللَّه به الخطايا ويرفعُ به الدَّرجات، ومَنْ توضَّأَ فأَسْبَغَ الوضوء، ثمَّ مشى إلى الصَّلاةِ المكتوبةِ فصلَّاها مع الجماعة؛ غُفِرَتْ له ذنوبُه، ومَنْ توضَّأ فأَحسنَ الوضوء، ثمَّ خرج إلى المسجد لا يُخْرِجُه إلَّا الصَّلاة، لم يَخْطُ خَطْوَةً إلَّا رُفِعَتْ له بها درجة وحُطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صلَّى لم تَزَلِ الملائكةُ تُصلِّي عليه ما دَامَ في مُصلَّاه، وبكلِّ خَطوة تَمْشِيهَا إلى الصَّلاةِ صدقة.

هذه الفضائلُ وغيرُها موعودٌ بها مَنْ أقامَ الصَّلاةَ مع المسلمين، فاحْمَدِ اللَّه تعالى أَنْ هَدَاكَ للفضائلِ وخَصَّكَ من خلقِه بالمحامد.

عبادَ اللَّه:

الأبُ الرَّؤُوفُ بأولادِه حقّاً، والرَّحيمُ بأهله صِدقاً: مَنْ يُعينُهم على القيام إلى الصَّلاة؛ فلا تَخرجْ من دارك للصَّلاة إلَّا وأبناؤك أمامَك وعن يمينك وعن شمالك وبجانبك، يتسابقون بين يديك إلى بيوت اللَّه وأماكِنِ تنزُّلِ رحمته.

فاتَّقوا اللَّه في دينكم عامَّة، وفي صلاتكم خاصَّة؛ فأمرُها عظيم، وشأنُها كبير، فَأْتُوا لها راغبين، ولأمر ربكم ممتثلين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَنْزِلَةُ الصَّلاةِ فِي الدِّينِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فالتَّقوى أجملُ ما أظهرتم، وأكرمُ ما أسررتم.

أيُّها المسلمون:

أعظمُ الأعمال عند اللَّهِ: إفرادُه بالعبادة، وما تقرَّب عبدٌ إليه بمثلِ ذلك، وأفضلُ الطاعات بعد التَّوحِيد: الرُّكنُ الثَّاني من الإسلام، فيه ذكرٌ للَّهِ وتعظيمٌ وذلٌّ وخضوع، سمَّاه اللَّه إيماناً؛ فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾.

هي عمودُ الإسلام، وأوَّلُ نعتٍ للمتَّقين في كتاب اللَّهِ بعد الإيمان بالغيب، وقُرَّة عين النَّبيِّ ﷺ، وبها كان يبعثُ دُعاتَه إلى الأمصار،

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّابع والعشرين من شهر جمادى الأولى، سنة خمس وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

قال ﷺ لمُعاذٍ رضي الله عنه: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ؛ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ**» (متفق عليه)، وكان النَّبيُّ ﷺ أوَّلَ ما يشترِطُ بعد التَّوحيدِ إقامةُ الصَّلاة؛ لأنَّها رأسُ العباداتِ البَدنيَّة، ووصيَّتُه لأُمَّتِه آخرَ حياتِه: «**الصَّلَاةَ! الصَّلَاةَ! وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ!**» (رواه أحمد).

مَنْ كمَّلَها كان قائماً بدينِه، ومَنْ ضيَّعَها كان لِمَا سِواها أضْيَع، هي أمانٌ لِمَنْ كان مشركاً ثُمَّ أسلَمَ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾، وعصمةٌ للدِّماءِ والأموال؛ قال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**» (متفق عليه)، ومُوجِبةٌ للأُخُوَّةِ في الدِّين: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾.

ولعظيم قدرِها ومُباينتِها لسائرِ الأعمال: أوجبَها اللَّهُ على أنبيائِه ورُسُله؛ فأوحَى إلى إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ بإقامتِها؛ فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ﴾، وإبراهيم عليه السلام دعا ربَّه أن تكون ذريَّتُه من مُقيمِي الصلاة، وأثنَى اللَّهُ على إسماعيل عليه السلام لاهتمامِه بها؛ فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾.

وأوَّلُ ما فرضَ اللَّهُ على موسى بعد توحيدِه: إقامةُ الصَّلاة، فكلَّمه

بهما من غير واسطة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، وبذلك أوحى اللَّه إلى موسى وهارون عليهما السلام أن يأمُرا قومَهما بها: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ﴾، وكان زكريَّا عليه السلام مُداوِماً عليها: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾، وداودُ عليه السلام كان مُحبّاً للصَّلاة، فيقومُ ثُلُثَ ليلِه بها، ولَمَّا رأى قومُ شُعيبٍ نبيَّهم يدعُوهم إلى التَّوحيد ويُعظِّمُ الصَّلاةَ؛ قالوا له: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾.

وتكلَّم بها عيسى عليه السلام وهو في المَهْدِ: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾، وأثنَى اللَّهُ على الأنبياء عليهم السلام؛ فقال: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾، وأُخِذ على بني إسرائيل الميثاقُ بأدائِها: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ووصَّى بها لُقمانُ ابنَه؛ فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وأمرَ سبحانه الأُمم قبلَنا؛ فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وأمرَ تعالى بها نبيَّنا مُحمَّداً صلى الله عليه وسلم؛ فقال له: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾، وقال لهذه الأُمَّة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

أُمِرْنا بها حال الخوفِ والأمن، والسَّفَرِ والحَضَر، والصِّحَّةِ والمَرَض، ولا تَسقُطُ عن مُكلَّفٍ بحالٍ إلَّا الحائِضَ والنُّفَساء، ويُؤمَرُ الصَّبيُّ بفعلِها لسبعٍ، ويُضرَبُ عليها من بلغَ عشرَ سنين، وكان صلى الله عليه وسلم

«يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ - لِئَلَّا يُنَامَ عَنْهَا -، وَيَكْرَهُ الحَدِيثَ بَعْدَهَا - لِئَلَّا يُثْقِلَ السَّهَرُ عَنْهَا -» (متفق عليه)، ومدحَ اللَّهُ عبادَه المؤمنين بصفاتٍ افْتَتَحَها بالصلاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾، واخْتَتَمَها بالصَّلاة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

هي أحبُّ الأعمال إلى اللَّه، سُئل النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**، قِيلَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ**» (متفق عليه)، قال ابنُ حَجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصَّبْرُ عَلَى المُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَأَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَالمَحَافَظَةِ عَلَى بِرِّ الوَالِدَيْنِ، أَمْرٌ لَازِمٌ مُتَكَرِّرٌ دَائِمٌ، لَا يَصْبِرُ عَلَى مُرَاقَبَةِ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ إِلَّا الصِّدِّيقُونَ».

خصَّها اللَّهُ من بين العبادات بفرضِها في السماء، وكلَّم بها نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ من غير واسِطة، وهي خمسٌ في العدد ولكنَّها خمسون في الأجر، ولا تُقبَلُ إلَّا بطهارة البدن واللِّباسِ والمكان، وتُمنعُ الحركةُ والأكلُ والكلامُ فيها، ولا يُوجد ذلك فيما سِواها من العبادات؛ إذ العبدُ فيها يُناجِي ربّاً كبيراً، فلا يُخالِطُ مُناجاةَ العظيم بغيره، واللَّه قِبَل وجهِ المُصلِّي، وأقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجِدٌ للَّه.

أداؤُها من أسباب دخول الجنَّة ورُؤية وجهِ اللَّه الكريم؛ قال ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**» (متفق عليه)، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَعْلَى مَا فِي الجَنَّةِ رُؤْيَةُ اللَّهِ، وَأَشْرَفُ مَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الأَعْمَالِ هَاتَانِ الصَّلَاتَانِ - أَيِ: الفَجْرُ

وَالعَصْرُ -؛ فَالمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا يُرْجَى بِهَا دُخُولُ الجَنَّةِ، وَرُؤْيَةُ اللَّهِ فِيهَا».

أجورُها عظيمةٌ قبل أدائِها؛ فالوضوءُ يُكفِّرُ الخطايا، و«مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ؛ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» (متفق عليه)، وكلُّ خَطوةٍ تخطُوها إلى الصَّلاة حسنة، وترفعُك عند اللَّه درجة، والأُخرى تضعُ عنك سيِّئة، ومَنْ دَخَلَ المَسجِدَ دعَتْ له الملائِكةُ تقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ؛ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ» (متفق عليه)، ومع دعاء الملائكة للمُنتظِر لها يُكتَبُ في صلاةٍ ما انتظرَ الصَّلاة، وفي أثناء الصَّلاة يتعرَّضُ لنفَحات المغفِرة؛ «مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه).

وذِكرٌ بعد أدائِها يحُطُّ الأوزار؛ فمن سبَّح اللَّهَ وحمده دُبُرَها ثلاثاً وثلاثين، وكبَّره أربعاً وثلاثين؛ غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه، ومَنْ عَمَرَ مساجِدَ اللَّه بالصَّلاة فيها مع التَّقوى كان من المُؤمنين، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، و«مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ» (رواه مسلم).

بابٌ عظيمٌ للغُفران في زمنٍ يسيرٍ، شبَّهَها النَّبيُّ ﷺ بالنَّهر؛ فقال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا» (متفق عليه)، وقال

النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**» (رواه مسلم).

ومنافعها الدُّنيويَّةُ لا تُحْصَى: جالِبةٌ للسَّعادة، فاتِحةٌ للرِّزقِ، مُيسِّرةٌ له، والعواقِبُ الحسنةُ بسببها؛ قال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

دافِعةٌ للشُّرور، داعِيةٌ لكلِّ خيرٍ؛ قال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ** - أَيْ: فِي حِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ -» (رواه مسلم)، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلِلصَّلَاةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ شُرُورِ الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا أُعْطِيَتْ حَقَّهَا مِنَ التَّكْمِيلِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَمَا اسْتُدْفِعَتْ شُرُورُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَا اسْتُجْلِبَتْ مَصَالِحُهُمَا بِمِثْلِ الصَّلَاةِ»، قال: «وَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ صِحَّةِ البَدَنِ وَالقَلْبِ وَقُوَاهُمَا، وَدَفْعِ المَوَادِّ الرَّدِيئَةِ عَنْهُمَا، وَمَا ابْتُلِيَ رَجُلَانِ بِعَاهَةٍ أَوْ دَاءٍ أَوْ مِحْنَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ إِلَّا كَانَ حَظُّ المُصَلِّي مِنْهُمَا أَقَلَّ، وَعَاقِبَتُهُ أَسْلَمُ».

وما رُفِع بلاءٌ بمثلِ توحيد اللَّه والصَّلاة؛ نَجَّى اللَّه يونسَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من بطنِ الحوت بالصَّلاة: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وفُتِن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلم يجد لتوبتِه مَفزَعاً مع الاستغفار إلَّا الصَّلاة: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾، ولَمَّا أراد اللَّه أن يبتلِيَ مريمَ عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بأَنْ تلد ولداً من غير زوجٍ، أمرَها بالصَّلاة؛ لِيَهُونَ عليها

الأمر: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، وكان ﷺ إذا حَزَبَه أمر؛ فَزِع إلى الصَّلاة.

وأمرَ اللَّه المُؤمنين أن يستَعينُوا بها في كلِّ أحوالِهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، عند الهَمِّ بأمر الدُّنيا نفزَعُ إلى اللَّه بصلاةِ الاستِخارة، وعندَ تغيُّر مسارِ الكونِ نَلْجأُ إلى اللَّه بصلاةِ الكُسُوفِ، وفي الفرَحِ نسجُدُ للَّه شُكراً على ما وهَب، وكان النَّبيُّ ﷺ أَعْظمُ بابٍ له في الشُّكر: الصَّلاةُ، فكان إذا صلَّى قامَ حتى تَتفطَّرَ قدَماه، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: **أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً**» (متفق عليه).

وفي الآخرة تَتقدَّمُ الصَّلاةُ سائرَ الأعمال، وتكونُ أوَّلَ ما يُحاسَبُ عليه العبدُ يوم القيامة، ومن أسباب مُرافقة النَّبيِّ ﷺ في الجنَّة: كثرةُ الصَّلاة، جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ، قَالَ: **فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**» (رواه مسلم).

والمؤمنون يتميَّزون عن المنافقين بالسُّجود؛ فإذا رأى المُؤمنون ربَّهم خرُّوا له سُجَّداً، وإذا دُعِيَ المنافقون للسُّجود لم يستطيعوا عقوبةً لهم؛ قال سبحانه: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾، وإذا دَخلَ المُسلمُ النَّارَ بذُنوبٍ استحقَّها لم تمسَّ النَّارُ مواضعَ سجودِه.

فرضٌ عظيمٌ جعلها اللَّهُ علامةً بين الكفر والإيمان؛ قال ﷺ:

«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ» (رواه مسلم)، وتوعَّد سبحانه من أضاعها بجهنَّم؛ فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾، وقيل للكفَّار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾، قال عمرُ بن الخطَّابِ رضي الله عنه: «لَا حَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فواجبٌ على كل مُكلَّفٍ أن يُحافِظَ على الصَّلاة، وأن يأمُرَ أهله بها، وهذا نهجُ الأنبياء عليهم السلام؛ فهي مرضاةٌ للرَّبِّ، ومُكفِّرةٌ للسَّيِّئات، ورافِعةٌ للدَّرجات، وجامِعةٌ لكلِّ خيرٍ، ناهِيةٌ عن كلِّ شرٍّ، فيها صلاحُ الحال والمآل، والتَّوفيقُ وسعادةُ البال، ورغَدُ العيش وبركةُ المال، وطُمأنينةُ البيوت وصلاحُ الذُّرِّيَّة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

أوجبَ اللَّه على الرِّجال أداءَ الصَّلاة جماعةً في المساجِد؛ قال سبحانه: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، والنَّبيُّ ﷺ همَّ بتحريق بيوتِ المُتَخَلِّفين عن صلاةِ الجماعة، فقال: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: صَلَاةُ العِشَاءِ، وَصَلَاةُ الفَجْرِ؛ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ» (متفق عليه)، ولم يُرخِّصِ النَّبيُّ ﷺ لرجُلٍ أعمَى لا قائِد له بالتَّخَلُّف عن صلاة الجماعة؛ بل قال له: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَجِبْ» (رواه مسلم).

فالبِدارَ البِدارَ إلى صلاة الجماعة! فهي نورُ الوَجْه، ودليلُ الإيمان، وبها انشِراحُ الصَّدر، وعلُوُّ الشَّأن.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

وُجُوبُ صَلاةِ الجَمَاعَةِ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أَمَرَ اللَّهُ خَلْقَه بإفراده بالعبادة؛ فلا يُقبلُ عملٌ بلا توحيد، وثنَّى بعبادةٍ بعد توحيده سبحانه وأكثر من ذكرها، وأمَرَ الرُّسل بها؛ فقال لموسى عليه السلام: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾، ودعا إبراهيمُ عليه السلام ربَّه أن يكونَ هو وذرِّيَّتُه من المُؤدِّين لها: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا﴾، وأثنى على إسماعيل عليه السلام لأمره أهله بها: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾، وهي من الميثاق الذي أُخذ على الأمم السَّابقة: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الرَّابع من شهر شعبان، سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وهي من وصايا لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وأُمِرَتْ هذه الأُمَّةُ بالمحافظة عليها: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾، وأُمِر بها النِّساء: ﴿وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وهي من أُسُسِ الإيمان؛ قال النَّبيُّ ﷺ لوفد عبد القيس: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ باللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ**» (متفق عليه)، ومنزلتُها في الدِّين بعد الشَّهادتين، وكان النَّبيُّ ﷺ يأمر بها في أوائل دعوته، قال هِرَقْل لِأَبِي سُفْيَانَ: «بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ - يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ -: قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّلَةِ، وَالعَفَافِ» (متفق عليه).

وهي أحبُّ الأعمال إلى اللَّه؛ سُئِل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**» (متفق عليه).

وخُصَّت من بين سائر العبادات بفرضيتها في السَّماء، فلم ينزل بها مَلَكٌ إلى الأرض؛ بل كلَّم اللَّهُ نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ بفرضيَّتِها من غيرِ واسطة، قال عليه الصلاة والسلام: «**ثُمَّ ذُهِبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ**» (متفق عليه)، عُظِّمَت منزلتُها ففُرِضت خمسين صلاة، ثمَّ خُفِّفت إلى خمس في العدد، وبقيت خمسين في الثواب.

أحبَّها الصَّحابة فكانوا يؤدُّونها في أشدِّ المواطن؛ قال جابر رضي الله عنه:

«غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْماً؛ فَقَاتَلُونَا قِتَالاً شَدِيداً، قَالَ المُشْرِكُونَ: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَوْلَادِهِمْ» (رواه مسلم)، وبَايَعُوا النَّبيَّ ﷺ عليها، قال جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه: «بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (متفق عليه).

الصَّلاة خيرُ عَونٍ على أمور الدُّنيا والدِّين؛ تُجَمِّلُ المرءَ بمكارم الأخلاق، وتَنهاهُ عن الفحشاء والمنكرات، ماحية للخطايا، مكفرة للسَّيِّئات، شَبَّهَها النَّبيُّ ﷺ بالنَّهْر الجارِي المُزِيل للأدران (متفق عليه)، تَحْفَظُ العبدَ من الشُّرور ومَهالكِ الرَّدَى؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ؛ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ**» (رواه مسلم)، ترفع عن العبد المصائب والفتن، والآفات والمعايب؛ قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله: «الصَّلَاةُ مِنْ أَكْبَرِ العَوْنِ عَلَى الثَّبَاتِ فِي الأَمْرِ».

تَفْتحُ أبوابَ الرِّزق وتُيَسِّرُه؛ قال سبحانه عن زكريَّا عليه السلام: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾، وقال عن مريم عليها السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾.

تُقَوِّي البدنَ وتَشْرَحُ الصَّدر؛ إذا اسْتَيْقَظَ العبدُ فذَكَر اللَّهَ، ثمَّ توضَّأ وصلَّى ركعتين: «**أَصْبَحَ** - يَوْمَهُ - **نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ**» (متفق عليه).

وصفها النَّبيُّ ﷺ بأنَّها نور؛ فقال: «**وَالصَّلَاةُ نُورٌ**» (رواه مسلم).

وهي من موجبات دخول الجنَّة والرِّفعة فيها؛ سأل ثَوبانُ النَّبيَّ ﷺ فقال: «أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الجَنَّةَ - أَوْ قَالَ: بِأَحَبِّ

الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ -؟ قَالَ: **عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً؛ إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**» (رواه مسلم).

والصَّلاةُ من أسبابِ مرافقة النَّبيِّ ﷺ في الجنَّة؛ قال ربيعةُ بن كعب رضي الله عنه: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **سَلْ**، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ، قَالَ: **أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟** قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: **فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**» (رواه مسلم)، كانت قرةَ عينِ النَّبيِّ ﷺ، وجعلَها آخرَ وصيَّتِه في حياته؛ قال أنس رضي الله عنه: «كَانَ عَامَّةُ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ حَضَرَهُ المَوْتُ: **الصَّلَاةَ! وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ!**» (رواه أحمد).

فضائلُها جَمَّة ومنافعُها مُتعدِّية، قال عنها النَّبيُّ ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُوْنَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً** - أَيْ: زَحْفاً عَلَى الأَيْدِي وَالرُّكَبِ -» (متفق عليه).

فُرِضَ على كلِّ مسلم أداؤها في كل مكان وعلى أيِّ حال؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوْراً، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ؛ صَلَّى حَيْثُ كَانَ**» (متفق عليه)، والإسلام جعلها ميزاناً بين الإسلام والكفر؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ: تَرْكُ الصَّلَاةِ**» (رواه مسلم)، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لَا إِسْلَامَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ»، وقال ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ؛ فَلَا دِينَ لَهُ».

وفعلها واجب في وقتها؛ قال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾، قال عمرُ بنُ عبدِ العزيز رحمه الله: «لَمْ تَكُنْ إِضَاعَتُهُمْ تَرْكُهَا، وَلَكِنْ أَضَاعُوا وَقْتَهَا»، قال إسحاق بن راهويه رحمه الله:

«رَأْيُ أَهْلِ العِلْمِ - مِنْ لَدُنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا -: أَنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ عَمْداً مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا أَنَّهُ كَافِرٌ».

واللَّهُ أوجب أداءها جماعة في بيوت اللَّه؛ بل لم يَعْذُرِ النَّبيُّ ﷺ فاقدَ البصر من الإتيان إليها؛ «جَاءَ رَجُلٌ أَعْمَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي رَجُلٌ أَعْمَى لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى المَسْجِدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ لِلصَّلَاةِ؟** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **فَأَجِبْ**» (رواه مسلم)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ؛ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**» (متفق عليه)، وفي روايةٍ: «**لَوْلَا مَا فِي البُيُوتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ**» (رواه أحمد)، قال ابنُ حَجَرٍ رحمه الله: «هَذَا الحَدِيثُ ظَاهِرٌ فِي كَوْنِ صَلَاةِ الجَمَاعَةِ فَرْضَ عَيْنٍ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ سُنَّةً لَمْ يُهَدِّدْ تَارِكَهَا بِالتَّحْرِيقِ، وَلَوْ كَانَتْ فَرْضَ كِفَايَةٍ لَكَانَتْ قَائِمَةً بِالرَّسُولِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ».

والتَّفريطُ في صلاة الجماعة؛ من أسبابِ استحواذِ الشَّيطان على العبد؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ؛ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ**» (رواه أبو داود)، قال ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ».

وشهودُها أمارة على الإيمان؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، وكان الصَّحابةُ يؤدُّونَها جماعةً ولو مع المَشقَّة؛ قال ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه:

«لَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»، قال الرَّبيعُ بن خَيْثم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَأْتُوهَا فَأْتُوهَا وَلَوْ حَبْواً».

وآخرُ ما رآه النَّبيُّ ﷺ من صحابته قبل وفاته، رآهم وهم يصلون جماعة، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ حُجْرَتِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ؛ فَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ صُفُوفاً يُصَلُّونَ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً، قَالَ أَنَسٌ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرَهَا إِلَى صَحَابَتِهِ» (متفق عليه).

واللَّهُ قِبَلَ وجه المُصلِّي، والخشوع هو روحُ الصَّلاة، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ» (رواه أبو داود)، قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا»، قال الكَرْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ شَيْخُ الإِسْلَامِ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ تَرْتَعِدُ أَعْضَاؤُهُ - أَيْ: مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ مِنَ اللَّهِ -».

فأَقْبِلُوا عليها بخُشُوعٍ وفَرحٍ بأدائِها جَماعة؛ تَطْهُرْ أرواحكم، وتُمْحَ زلَّاتُ ألسنتكم وما اقترفته جوارحُكم، وتُرْفَعْ درجاتكم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِهِ وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الصَّلاةُ سببُ الفوزِ والفلاح، من مشى إليها لم يَخْطُ خَطْوَة إلَّا رفعه اللَّهُ بها درجة، وحطَّ عنه خطيئة، وتصلي عليه الملائكة ما دام في مجلسه الَّذي يُصلِّي فيه، تقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**» (متفق عليه)، و«**مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ**» (رواه مسلم)، ومن تَعلَّقَ قلبُه بالصَّلاة يَتَحَيَّنُ النداء للصَّلاة التي تليها؛ أظلَّه اللَّه تحتَ ظلِّ عرشه.

فأدُّوا الصَّلواتِ المفروضةَ جماعةً في بيوت اللَّه، طيِّبةً بها نفوسُكم، منشرحةً بها صدورُكم؛ تَنالُوا ثوابَ ربِّكم.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

الـزَّكَـاةُ

الزَّكَاةُ[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى؛ فبالتَّقوى تَسْتَنِيرُ البصائرُ والقلوبُ، وتُحَطُّ الخطايا والذُّنوب.

أيُّها المسلمون:

خَلَقَ اللَّهُ الثَّقلَيْن لعبادتِه، وهو سبحانه غنيٌّ عنهم، ولا غِنَى للخلقِ عنه، فهو الَّذي يكشف ضُرَّهم، وهو الَّذي ينفعُهم؛ ولحاجتهم إليه أوجب عليهم عبادتَه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، والإسلامُ بُنِيَ على أركانٍ قامَ عليها، فالشَّهادتان أوَّلُها، والصَّلواتُ المفروضةُ ثانيها، والزَّكاةُ ثالثُ أركانِ الإسلام العظام، وهي قرينةُ الصَّلاةِ في كثيرٍ مِن آيِ القرآن، وعيسى عليه السلام

(١) أُفردت من خطبٍ أُلقِيَتْ في المسجد النَّبويِّ.

تكلَّم بها وهو في المَهْدِ فقال: ﴿وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾، وأثنى على إسماعيل عليه السلام لأمرِه أهلَهُ بِها: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾.

ولِعظيمِ قدرِها أوجبَها اللَّهُ على أنبيائِه ورُسُله؛ فأوحَى إلى إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ بإقامتِها؛ فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾، وهي من الميثاق الذي أُخِذَ على الأمم السَّابقة؛ قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وأُمِر بها النِّساء: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

وكان النَّبيُّ ﷺ يأمرُ بها في أوائل دعوته، قال هرقلُ لأبي سفيانَ: «بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ - يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ -: قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّلَةِ، وَالعَفَافِ» (متفق عليه)، ووصَّى النَّبيُّ ﷺ بها أُمَّتَه، أتى أَعْرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ؛ قَالَ: **تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**» (متفق عليه)، أحبَّها الصَّحابة فكانوا يؤدُّونها، وبايَعُوا النَّبيَّ ﷺ عليها، قال جريرُ بن عبد اللَّه رضي الله عنه: «بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (متفق عليه).

وهي من أُسُسِ الإيمان؛ قال النَّبيُّ ﷺ لوفد عبد القيس: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ باللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ**» (متفق عليه)، هي أمانٌ لِمَنْ كان مشركاً ثُمَّ أسلَمَ، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْۚ﴾، وعصمةٌ للدِّماء والأموال؛ قال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**» (متفق عليه).

وهي مُوجِبةٌ للأُخُوَّة في الدِّين: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِۗ﴾، وفيها تقوى أواصرُ المَودَّةِ بين المُسلِمين، وفيها اسْتجلابُ البَرَكةِ والزِّيادةِ والخُلْفِ من اللَّه؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ﴾، وبها نقاءُ النُّفوس وزكاؤُها؛ قال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، والنَّجاةُ مِن النَّار جزاءُ مَنْ زكَّى نفْسَه بمالِه؛ قال ﷻ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾، تَقِي المَرْءَ من عقوبات الذُّنوب، وتَصْرِفُ عنه عظيم المصائب والكروب، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

في الزَّكاةِ سُموٌّ بالأرواحِ والأخلاق بالجُود والسَّخاء، وبها يَكْتَملُ العَدلُ ويَعُمُّ الرَّخاء، ويَسعدُ الفُقَراء، وهي حِلْيةُ الأغنياء، وزِينةُ

الأتقياء، ووصيَّةُ الأنبياء، أداؤُها برهانٌ على صِدْقِ الإيمان، ودليلٌ على صفة الإحسان، وسببٌ من أسباب نيلِ الرِّضوان، وأَمَارَةُ الفلاح، وبُرهانٌ على اليقين، وهي حقٌّ من حقوق الفقراء، يُعطيها الغنيُّ لهم بلا مَنٍّ ولا إذْلال، يُكمِّل المرءُ بها دينه، ويَحفظُ بها مالَه.

وبها يَقرُبُ العبدَ من الجنَّة ويُباعَدُ من النَّار؛ جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: «أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: **لَقَدْ وُفِّقَ** - أَوْ: **لَقَدْ هُدِيَ** -، قَالَ: **كَيْفَ قُلْتَ؟** قَالَ: فَأَعَادَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**» (متفق عليه).

مَن أخرَجَها طيِّبةً بها نفْسُه؛ أذاقَه اللَّه حلاوةَ الإيمانِ وطعْمَه، قال ابن القيِّم رحمه الله: «وَالمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؛ انْشَرَحَ لَهَا قَلْبُهُ، وَانْفَسَحَ لَهَا صَدْرُهُ، وَقَوِيَ فَرَحُهُ، وَعَظُمَ سُرُورُهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا هَذِهِ الفَائِدَةُ وَحْدَهَا؛ لَكَانَ العَبْدُ حَقِيقاً بِالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا وَالمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا».

ولأهمِّيَّة الزَّكاةِ تولَّى اللَّهُ ذكرَ مَصارِفها، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ فلا يَجوزُ صرفُها لغيرِ مَن ذكر اللَّه.

والـوَعيدُ جاء في حقِّ من بَخِلَ بـها؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾، وقال الرَّسولُ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ؛ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعاً أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي: شِدْقَيْهِ -، ثمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾» (رواه البخاري).

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فعبادةُ الزَّكاةِ نعمةٌ خصَّ اللَّهُ بها الغنيّ، فلْيَفرحْ بها، ولْيُخرجْها طيِّبة بها نفسه، فإنَّها ترضي الرَّحْمن، وتُنمِّي المال، وتَحفُظُه من الآفاتِ والكساد.

أعوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ لِلَّهِ عَلَى إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

من الزَّكاةِ تُقْضَى دُيونُ الفقراء والمساكين، وتُدفَعُ بها حاجاتهم، ويُعانُ المسافرُ المُنقَطِع، وتَتَألَّفُ القلوب، وهي مُدَّخَرةٌ عند اللَّه، قَرْضاً مُضَاعَفاً للغنيِّ؛ قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

فتَوَاضَعْ للمِسْكِين، وابذُلْ له مالاً، وادْنُ منه، واحْنُ عليه، ولا تَحْتَقِر فقيراً، فإنَّ أكثرَ أهلِ الجنَّةِ همُ الفُقَرَاء، وأَنفِقْ بكرَمِ يدٍ وسَخاوةِ نَفْسٍ؛ يُبَارَكْ لك في المالِ والوَلد، والصَّدقةُ دواءُ الأمراضِ والأعراض، فابتغوا الضُّعفاءَ والمحاويج، وابذُلوا تُرزَقوا، وارْحَمُوهم تُرحَموا، فما اشْتَكى فقيرٌ إلَّا مِنْ تقصيرٍ غنيٍّ.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أَمَرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فَضْلُ الصَّدَقَةِ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

المالُ يَتَقلَّبُ بأيدي العباد ولا يبقى على حال، ومَنْ لم يَتَحوَّلْ عنه المال؛ تحوَّل هو عنه بالرَّحيل، قال سبحانه: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾، وهو فتنةُ هذه الأمَّة، قال ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ**» (رواه الترمذي).

المالُ صاحِبٌ لا يُؤْمَن أَنْ يَنْقَلِبَ عَدُوّاً فيَحرِمُ صاحبَه الثَّواب، وإنَّما يُحْمَدُ صاحبُ المالِ إذا قرُبَ من الخيرِ والفقير؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**نِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ هُوَ، لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ المِسْكِينَ، وَاليَتِيمَ، وَابْنَ السَّبِيلِ**» (متفق عليه).

---

(١) أُفردت من خطبٍ أُلقِيَتْ في المسجد النَّبويِّ.

وهو كالحَجَر في اليد؛ لا يُنْتَفَعُ به إلَّا إنْ فَارَقَ الكفَّ، والمُمْسِكُ يَنْدَمُ إذا دنَا أجلُه، قال ﷻ: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

واللَّهُ فَتَح لعباده بابَ الصَّدقة؛ لِيرضى عنهم، وهي تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّحْمَن، وبرهانٌ على الإيمان، ومن خير الأعمال؛ سُئِل النبيُّ ﷺ: «أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**» (متفق عليه).

وبها تَتضاعفُ الأجور، وتُكَفَّرُ الخطايا والأوزار، قال عليه الصلاة والسلام لمعاذٍ رضي الله عنه: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ** - أَيْ: تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ -» (رواه الترمذي)، وهي تُنمِّي المالَ وتُضاعِفُه؛ قال ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، وقال عليه الصلاة والسلام: «**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» (متفق عليه).

وأَثرُها يَظهرُ على النَّفس والمال والولد، ويُدفعُ بها البلاء، ويُجلَبُ الرَّخاء، قال ابن القيِّم رحمه الله: «لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ البَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ - خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ -، وَأَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ مُقِرُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ، وَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللَّهِ وَاسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ بِمِثْلِ طَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ».

وأعظمُ الصَّدقةِ أجراً: «**أَنْ تَصَّدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ؛ تَخْشَى**

الفَقْرَ وَتَأْمُلُ الغِنَى، وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ» (متفق عليه)، و«خَيْرُ الصَّدَقَةِ: مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى» (متفق عليه).

والتَّيسيرُ على المُعسِرين صدقةٌ، ومَنِ اسْتَدَانَ أموالَ النَّاس يُريدُ قضاءَها أدَّى اللَّهُ عنه، و«إِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً» (متفق عليه)، ومن الصَّدقات: سُقْيَا الماءِ، وإطعامُ الطعام، و«مَنْ فَطَّرَ صَائِماً؛ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئاً» (رواه الترمذي)، وكان ابن عُمر رضي الله عنهما يصومُ ولا يُفطِرُ إلَّا مع المساكين.

المُتصدِّق آمنٌ في الدُّنيا والآخرة؛ قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وصدقتُه تَعْظُمُ عند اللَّه؛ فالتمرةُ يأخُذُها سبحانه ويُربِّيها حتى تكونَ مِثلَ الجبل.

وإخفاءُ الصَّدقة خيرٌ من إظهارها؛ فهو أبعَدُ عن الرِّياء، إلَّا أَنْ يترتَّبَ على الإظهار مصلحةٌ راجِحةٌ؛ كالاقتِداء بالإنفاق؛ قال سبحانه: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، ومن السَّبعةِ الذين يُظلُّهم اللَّه في ظلِّه: «رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؛ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» (رواه البخاري)، مات زين العابدين رحمه الله فافتقد أهلُ المدينة صدقةَ السِّرِّ، ولَمَّا غسَّلوه وجدوا آثارَ سوادٍ في ظهره ممَّا يحمله على ظهره من الدَّقيق ليلاً لفقراء المدينة.

واللَّه كريمٌ يُحِبُّ الكرم، ونبيُّنا ﷺ «أَجْوَدُ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَهُوَ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»، ولا يُسألُ شيئاً إلَّا أعطاه، و«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ» (متفق عليه)، وكان لا يَستكثِر شيئاً أعطاه ولا يردُّ سائلاً، وكان العطاءُ والصدقةُ أحبَّ شيءٍ إليه، وكان سرورُه بما يُعطيه أعظمَ من سرور الآخذِ بما يأخذه.

فابتغوا ذوي المسكنة ولو بالقليل؛ فالقليلُ في جنب اللَّه كثير، واليسيرُ منَ البذلِ يَسْتُرُ منَ النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ! اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ**» (رواه أحمد)، قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا أَعْرِفُ حَبَّةً تَزِنُ جِبالَ الدُّنْيَا إلَّا الحَبَّةَ مِنَ الصَّدَقَةِ»، والبذلُ رِفعة، والسَّخاءُ مَكْرُمة، وكلَّما سَمَتِ النَّفسُ كان البذلُ أعظم، والمرءُ في ظلِّ صدقته يوم القيامة.

واللَّهُ جعلَ لِذي القربى حقّاً في الأعناق، يُوفَّى بالإنفاق؛ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فليس هو تفضُّلاً؛ إنَّما هو الحقُّ الذي فَرَضه اللَّه، و«**إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ**» (رواه النسائي)، والصَّدقةُ عليهم ثوابُها مبرورٌ، وأجرُها مضاعفٌ؛ قال النَّبيُّ ﷺ - حين سُئِلَ عن إنفاقِ زينبَ على زوجها عبدِ اللَّه بنِ مسعودٍ وأيتامٍ لها؛ قال -: «**نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ؛ أَجْرُ القَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**» (متفق عليه).

ومَنْعُ الصَّدقةِ خشيةَ النَّفاد تلفٌ للمال، قال ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» (متفق عليه)، والمُنفِقُ موعُودٌ بالعِزِّ والمغفِرة.

والعبدُ لا يَنْجُو من الابتلاء إلَّا بالصَّبر والتَّعلُّقِ باللَّه، ومَنْ قَلَّ المالُ في يده فعليه بملازمةِ التَّقوى؛ فبها تتيسَّرُ على المعسِر أبوابُ الرِّزق، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وبمداومةِ الاستغفار يُغْدَقُ المالُ؛ قال سبحانه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.

أعوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ لِلَّهِ عَلَى إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أَنفِقُوا من طيِّبِ كسبِكم، واحتسِبُوا عند اللَّهِ أجرَكم، فبالصَّدقةِ بركةُ الأموال وطهارةُ الأنفُس، وكلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقَتِه يوم القيامة، وممَّنْ يُظلُّهم اللَّه في ظلِّ عرشِه: «**رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ**» (رواه البخاري)، والمُؤمنُ لا يَستقِلُّ شيئاً، فرُبَّ درهمٍ سبقَ ألفَ درهَمٍ، ومن جادَ على عبادِ اللَّه؛ جادَ اللَّه عليه بالفضلِ والعطاء، والجزاءُ من جِنسِ العمل.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أَمرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فَضْلُ النَّفَقَةِ[١]

الحمدُ للَّه مُعِزِّ مَنْ أَطَاعَه واتَّقَاه، ومُذِلِّ مَنْ أَضَاعَ أَمْرَه وعَصَاه، أَحْمَدُهُ حَمْداً كثيراً طيِّباً مباركاً كما يُحِبُّ ربُّنا ويرضى.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، لا ربَّ لنا سواه، ولا نعبدُ إلَّا إياه.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، أصدقُ داعٍ إلى اللَّه، وأَنْصَحُ خلقِ اللَّه لعبادِ اللَّه، اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آلِه وأصحابِه ومَنْ سَلَكَ سبيلَه واتَّبع هداه.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وأَخْلِصُوا له سِرَّكم وجَهرَكم، وسَارِعُوا إلى مَرْضَاةِ ربِّكم، واغْتَنِمُوا فاضلَ شهركم.

أيُّها المسلمون:

من مقاصد الإسلام: بناءُ مجتمعٍ مُتَراحمٍ متعاطِف، تَسودُه المحبَّةُ والإخاء، ويُهيمِنُ عليه حبُّ الخيرِ والعَطاء، ودائرةُ الجُود تَتَّسعُ لِمَا تهفو إليه القلوبُ المؤمنةُ من البذل في الخير، والتَّوسُّعِ في إِسْداءِ المعروف، والإسلامُ الحنيفُ قد رغَّب في ذلك ترغيباً يَشرحُ صدرَ

(١) أُفردت من خطبٍ أُلقِيَتْ في المسجد النَّبويِّ.

الكريم، ويُعالجُ شُحَّ اللئيم، قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾.

و«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»، إِنْ أنفقَ أجزل، وإِنْ مَنحَ أغدق، وإِنْ أعطى أَعْطَى عطاءَ من لا يخشى الفَاقَة، ما سُئِل شيئاً إِلَّا أعطاه، ما ردَّ سائلاً إِلَّا أَنْ لا يَجدَ شيئاً، وندَبَ ﷺ الصَّحابة ﷺ إلى الصَّدقة، فبذَلُوا نفيسَ أموالهم؛ فأنفقَ عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه نصفَ مالِه، وأنفقَ أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه مالَه كلَّه، وقال ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ؛ فَلَهُ الجَنَّةُ**؛ فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ رضي الله عنه» (رواه البخاري)، ونزَلَ قولُ اللَّه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فقام أبو طلحةَ رضي الله عنه إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَحبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ» (متفق عليه)، باليسير من النَّفقة مع الإخلاص نجاةٌ من النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**اتَّقُوْا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» (متفق عليه).

المالُ لا يذهبُ بالجود والصَّدقة، إنما هو قرضٌ حسنٌ مضمونٌ عند الكريم، ويُخْلِفُ الله بدلَه، قال الرَّسولُ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ؛ فَيَقُوْلُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» (متفق عليه)، وأَيْقِنْ بالغِنَى من الكريم، قال الرَّسولُ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ؛ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**» (متفق عليه)، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**» (رواه مسلم).

والمالُ وَدِيعةٌ في يدك، ليس لك منه إلَّا ما أكلْتَ فأَفْنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فأَبْلَيْت، أو تصدَّقت فأَمْضَيْت؛ فتواضعْ للمسكين، وابْذُل له مالاً، وادْنُ منه، واحْنُ عليه، ولا تَحْتَقِرْ فقيراً؛ فإنَّ أكثرَ أهل الجنَّةِ هم الفقراء.

ومَنْ جَادَ على عباد اللَّه جَادَ اللَّه عليه، ومَنْ فُتِحَ له بابُ خيرٍ فلْيَنْتَهِزْه فإنَّه لا يَعلمُ متى يُغْلَقُ دونه، وإن استطعت أن لا يَسبِقَك إلى اللَّه أحدٌ فافعل، لَمَّا مات زينُ العابدين رَحِمَهُ اللَّهُ افتقد أهلُ المدينة صدقَة السِّرِّ، ولَمَّا غَسَّلوه وجدوا آثار سواد في ظهره ممَّا يَحْمِلُه على ظهره من الدَّقيق ليلاً لفقراء المدينة.

المُنفِقُ تَتَيسَّرُ له أُمُورُ الحياة؛ قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ❁ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ❁ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ❁ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ❁ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ❁ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾، وموعودٌ بالمغفرة والغِنى؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾؛ بل إنَّ النَّفقةَ مُخلَفة؛ قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

والإنفاقُ يُفرِّجُ الكروب، لمَّا نَزَلَ الوَحْيُ على النَّبيِّ ﷺ أوَّلَ مَا نَزَلَ، قال لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**، فَقَالَتْ: كَلَّا؛ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ» (متفق عليه)، ويَمْتَدُّ نَفعُها إلى تفريجِ كُرُوبِ المَحْشَر، فيكونُ المُتصدِّقُ في ظلِّ صَدَقتِه

يوم القيامة، ومَنْ أَخْفَى صدقته - ولَوْ قلَّت -؛ أَكْرَمَهُ اللَّه بظلٍّ آخرَ غيرَ ظلِّ صدقتِه، وهو ظلٌّ تحتَ العرش.

والغنيُّ المُنفِق يَسبِقُ غيرَه بالأجور، قال بعض الصَّحابة رضي الله عنهم لرسول اللَّه ﷺ: «ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ» (رواه مسلم)، والمُوفَّقُ مِنَ الأغنياء من بَنى آخِرتَه بالسَّخاء والعطاء مع التَّقوى، وقد سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ حَرِيصٌ، تَأْمُلُ الغِنَى وَتَخْشَى الفَقْرَ**» (متفق عليه)، وإخفاؤُها خيرٌ من إظهارِها، قال سبحانه: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، ومن السَّبعَةِ الذين يُظلِّهُم اللَّه في ظلِّه: «**ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**» (رواه البخاري).

ومَنْ أَحسنَ الظَّنَّ بربِّه سَخَتْ نفسُه، وجَادَتْ بمالِه مُوقِناً بقول اللَّه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾، قال سليمان الدَّارَاني رحمه الله: «مَنْ وَثِقَ بِاللَّهِ فِي رِزْقِهِ زَادَ فِي حُسْنِ خُلُقِهِ، وَأَعْقَبَهُ الحِلْمَ، وَسَخَتْ نَفْسُهُ فِي نَفَقَتِهِ، وَقَلَّتْ وَسَاوِسُهُ فِي صَلَاتِهِ»، والإنفاق حَادٍ على الرَّجاء فيما عند اللَّه، والثِّقةِ بوعده، وفعلِ الخير طمعاً بفضله على ما جاء في قوله: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾.

وأفضلُ النَّفقةِ: النَّفقةُ على الأقارب؛ قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾، وقَريبُك قِطعةٌ منك، إنْ أحسنتَ إليه فإنَّما تُحسِنُ إلى شخصك، وإن بَخِلْتَ عليه فإنَّما تَبخل عن نفْسك، واللَّهُ جَعَل لِذي القربى حقّاً في الأعناق، يُوفَّى بالإنفاق، فلا

تَبخلْ عليهم، ولا تَقْهَرْ يتيماً، ولا تنهرْ سائلاً، وأنفقْ بسخاوة نفس؛ يُبَارَكْ لك في المال والولد.

والشَّيطان يُوَسْوِسُ للمُنفِق، ويَأمرُه بالإمساك، ويُزَيِّنُه له خديعة ومكراً؛ قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾.

وذمَّ اللَّهُ المنافقين بِبُخْلِهم في بذلِ الخير، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هُمْ أَخْبَثُ بَنِي آدَمَ وَأَقْذَرُهُمْ وَأَرْذَلُهُمْ»، آذَوْا رَسولَ اللَّه ﷺ وأصحابه أَذيَّةً شديدة، فَعَابُوا على رسولِ اللَّه ﷺ قِسْمَتَه، وسَخِرُوا بصحابَتِه، وَهَزِؤوا بالمُتصدِّقين منهم، قال ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمْ يَسْلَمْ أَحَدٌ مِنْ عَيْبِهِمْ وَلَمْزِهِمْ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ»، وإنْ أَنْفَقُوا أموالَهم أَنفقُوها على كُرْهٍ ومِنَّةٍ وتَرَدُّد، ولِسُوءِ مُعتقدِهم وخُبثِ طَوِيَّتهم فنفقاتُهم غيرُ مقبولةٍ عند اللَّه مهما أنفقوا؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ﴾، وأموالُهم وأولادُهم عذابٌ عليهم: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾.

والغنيُّ البخيل فقيرٌ مزخرَف، وهو خادِمٌ يَجمعُ المال لغيره، لا لِنَفْسِه انْتَفَع، ولا ببَذْلِه لِلْفُقَرَاءِ ارْتَفَع، وقد يَعْرِضُ لصاحبِ المال البخلُ في إنفاقه، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾، والمال لا يُبْقِيهِ حِرْصٌ وشُحّ، ولا ينقصه بذل وعطاء، قال الحسنُ البَصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِئْسَ الرَّفِيقُ الدِّرْهَمُ وَالدِّينَارُ؛ لَا يَنْفَعَانِكَ حَتَّى يُفَارِقَاكَ».

أعوذُ باللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمدُ لِلَّهِ عَلَى إحسانِه، والشُّكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيُّها المسلمون:

كان رسول اللَّه ﷺ أكرمَ النَّاس وأجودَ النَّاس، إنْ أنفقَ أَجْزَل، وإنْ مَنَحَ أَغْدَق، وإنْ أعطى أَعْطَى عَطاءَ من لا يخشى الفَاقَةَ والفقر، فاقْتَدُوا بنبيِّكُم وتَحسَّسُوا بيوتَ المساكينِ والفقراءِ والأرامل والأيتام؛ ففي ذلك تفريجُ كُرُباتٍ، وإشباعُ جائع، وفرحةٌ لصغير، وإعفافٌ لأسرة.

ومِنْ شُكرِ اللَّه: البذلُ لعباده الفقراء، وإسعادُ خَلْقِه الضعفاء، والمالُ لا يُبقِيه حرصٌ وبخل، ولا يُذهِبُه بذلٌ وإنفاق.

ولا تكنْ كالشَّقيِّ البخيل؛ يُزْهِقُ نفسه في الدُّنيا بجمعه، وفي الآخرة يُحاسَب على منعه، غيرَ آمنٍ في الدنيا من هَمِّه، ولا ناجٍ في الآخرة من إثمه، عيشُه في الدُّنيا عيشُ الفقراء، وحسابُه في الآخرة حسابُ الأغنياء.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّهَ أَمَرَكم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

صِيَامُ رَمَضَانَ

الاسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عباد اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

تذهبُ اللَّيالي والأيامُ سِراعاً، والعامُ يطوِي شهورَه تِباعاً، وسنَّة اللَّه في كونه: قدومٌ وفوات، واللَّه أكرمَ عبادَه؛ فشرعَ لهم مواسم في الدَّهر تُغفَر فيها الذُّنوبُ والخطيئات، ويُتزوَّدُ فيها من الأعمال الصالحات.

وفي العام شهرٌ هو خيرُ الشُّهور، بعثَ اللَّه فيه رسوله وأنزل فيه كتابَه، يَرتقِبُه المسلمون في كل حولٍ وفي نفوسهم له بَهْجة، يُؤدُّون فيه

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر شعبان، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

ركناً من أركان الإسلام؛ يُفعلُ خالصاً، ويَتلذَّذُ فيه المسلم جائعاً، يُحقِّق العبدُ فيه معنى الإخلاص؛ لِينطلقَ به إلى سائر العبادات بعيداً عن الرياء، ثوابُ صومه لا حدَّ له من المُضاعفة؛ بل ذلك إلى الكريم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**» (متفق عليه).

الصِّيامُ يُصلِحُ النُّفوس، ويَدفعُ إلى اكتساب المحامد والبُعد عن المفاسد، به تُغفَر الذُّنوب وتُكفَّرُ السَّيِّئات؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه).

شهرُ الطَّاعة والإحسان، والمغفرة والرِّضوان؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ: فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**» (متفق عليه).

فيه صبرٌ على حمأة الظَّمأِ ومرارة الجوع، ومُجاهدة النَّفس على زجرِ الهوى، جزاؤهم بابٌ من أبواب الجنَّة لا يَدخلُه غيرُهم، فيه تذكيرٌ بحال الجوعَى من المساكين والمُقتِرين، يستوي في الصَّوم المُعدِمُ والمُوسِر، كلُّهم صائمٌ لربِّه، مُستغفِرٌ لذنبه، يُمسِكون عن الطَّعام في زمنٍ واحدٍ، ويُفطِرون في وقتٍ واحد، يتساوون طيلةَ نهارهم بالجوع والظَّمأ؛ لِيتحقَّقَ قولُ اللَّه في الجميع: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾.

والقرآنُ العظيمُ أصلُ الدِّين وآيةُ الرِّسالة، نزل في أفضل الشُّهور:

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، ونزولُه فيه إيماءٌ لهذه الأمة بالإكثار من تلاوته وتدبُّره، وكان جبريل عليه السلام يَنزلُ من السَّماء ويُدارِسُ فيه نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ، وفي العام الذي تُوفِّي فيه عَرَض عليه القرآنَ مرتين، وكان الإمامُ مالكٌ رحمه الله إذا دخل رمضانُ أَقْبلَ على تلاوة القرآن وتركَ الحديثَ وأهله.

وللصَّدقة نفعٌ كبيرٌ في الدُّنيا والآخرة؛ فهي تَدفعُ البلاء وتُيسِّرُ الأمور، وتجلِبُ الرِّزقَ وتُطفِئُ الذُّنوبَ كما يُطفِئُ الماءُ النَّار، وهي ظلٌّ لصاحبها يوم القيامة، والمالُ لا يَنقُصُ بالصدقة بل هو قرضٌ مضمونٌ عند الغنيِّ الكريم: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾، يُضاعفُه في الدنيا بركةً ونقاءً، ويُجازيه في الآخرة نعيماً مُقيماً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُوْلُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» (متفق عليه).

فتحسَّسْ دُورَ الفقراء والمساكين، ومساكنَ الأرامل والأيتام؛ ففي ذلك تفريجُ كربةٍ لك، ودفع بلاءٍ عنك، وإشباعُ جائعٍ، وفرحةٌ لصغير، وإعفافٌ لأسرةٍ، وإغناءٌ عن السُّؤال، والنَّبيُّ ﷺ كان أكرمَ الناس وأجودَهم: إنْ أنفقَ أجزلَ، وإنْ منحَ أغدَقَ، وإنْ أعطَى أعطى عطاءَ من لا يخشى الفاقَة، وكان يَستقبِلُ رمضان بفيضٍ من الجُود، وكان أجودَ بالخير من الرِّيحِ المُرسَلة، والمالُ لا يُبقِيه حرصٌ وشُحٌّ، ولا يُذهِبُه بذلٌ وإنفاق.

وليالي رمضان تاجُ ليالي العام؛ «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (متفق عليه)، ودُجاها ثمينةٌ بالعبادة فيها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ» (رواه مسلم)، و«مَنْ صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (رواه الترمذي)، وفيها ليلةٌ مضاعفةٌ هي أمُّ اللَّيالي - ليلةُ القَدْر والشَّرَف - خيرٌ من ألف شهر، وفي كل ليلةٍ يُفتَحُ بابُ إجابةٍ من السماء، وخزائنُ الوهَّاب ملأى، فسَلْ من جُود الكريم، واطلُبْ رحمةَ الرحيم، فرمضانُ شهرُ العطايا والنفحات والمِنَن والهِبات، وأعجزُ الناس من عجزَ عن الدعاء.

والأيامُ صحائفُ الأعمار، والسعيدُ من خلَّدها بأحسن الأعمال، ومَنْ نَقَلَهُ اللَّهُ من ذلِّ المعاصي إلى عزِّ الطاعة؛ أغناه بلا مالٍ، وآنسَه بلا أنيس، وراحةُ النفس في قلَّة الآثام، ومن عرفَ ربَّه اشتغلَ به عن هوى نفسه.

وبعضُ الناس أرخصَ لياليَه الثَّمينة باللَّهْوِ وما لا نفع فيه، فإذا انقضى شهر الصِّيام ربِح النَّاسُ وهو الخاسر، ومِنَ النَّاس مَنْ يصومُ وهو لا يُصلِّي، والصَّوم لا يُقبَلُ إلَّا بتوحيدٍ وصلاةٍ.

والمرأة مأمورةٌ بالإكثار من تلاوة القرآن، والذِّكر والاستغفار، والإكثار من نوافل العبادات، وصلاةُ التَّراويح في بيتها أفضلُ من أدائها في المساجد؛ قال ﷺ: «وَبُيُوْتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ» (رواه أبو داود).

وعليها بالسِّتْر والحياء، ومراقبةِ ربِّها في غَيبة وليِّها وشهوده، والصالحةُ منهنَّ موعودةٌ برضا ربِّ العالمين عنها، وتمسُّكُها بدينها، وسِترُها واعتزازُها بحجابها؛ يُعلِي شأنَها ويُعزِّزُ مكانَها، وهي فخرُ المجتمع وتاجُ العفاف وجوهرةُ الحياة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

مِن خير ما يُستقبَلُ به رمضان: مداومةُ الاستغفار، والإكثارُ من حَمْدِ اللَّه على بُلوغِه، والسَّابقون للخيرات هم السَّابقون إلى رفيع الدَّرجات في الجنَّة، فتَعرَّضُوا لأسباب رحمة اللَّه في شهره الكريم، وتنافَسوا في عمل البرِّ والخيرات، واستكثِروا فيه من أنواع الإحسان، وترفَّعوا عن الغِيبة والنَّميمة وسائر الخطيئات، ولا يفوتُك خيرٌ بسبب سهرٍ على غير طاعةٍ، ولا يصدُّك نوم عن عبادة، وإن استطعتَ أن لا يَسبِقَك إلى اللَّه أحدٌ؛ فافعل.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

رَمَضَانُ هَلَّ [١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

تذهَبُ الأيَّامُ واللَّيالِي سِراعاً، والعامُ يطوِي شُهورَه تِباعاً، والعبادُ في ذلك إلى اللَّه سائِرُون، وعمَّا قريبٍ لأعمالِهم مُلاقُون، ومِنْ فضلِ اللَّه وكرمِه أَنِ اختارَ لهم من الأزمان مواسمَ للطَّاعات، واصطفى أيَّاماً وليالِيَ وساعات؛ لِتَعْظُمَ فيها الرَّغبةُ، ويزدادَ التَّشمير، ويتنافسَ المتنافسون.

وكلَّما لاحَ هلالُ رمضان أعاد إلينا نفحاتٍ مباركات، فيَستقبلُه

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّاني من شهر رمضان، سنة تسع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

المسلمون وله في نفوسهم بَهْجَة، وقلوبُهم تمتلئُ به فَرْحة، فرُبَّ ساعةِ قَبولٍ فيه أدركت عبداً؛ فبلغ بها درجات الرِّضا والسَّعادة.

وقد حلَّ بنا أشرفَ الشُّهور وأزكاها، موسم عظيم خصَّه اللَّه بالتَّشريف والتَّكريم، فبعث فيه رسوله ﷺ وأنزلَ فيه كتابَه وفرضَ صيامَه، ساعاتُه مباركة، ولحظاتُه بالخير معمورة، تتوالى فيه الخيرات وتَعُمُّ فيه البركات.

موسِمُ الإحسانِ والصدقَات، وزمنُ المغفِرة وتكفير السَّيِّئات؛ نهارُه صِيامٌ، وليلُه فيه قِيامٌ عامِرٌ بالصَّلاةِ والقرآن، تُفتَّحُ فيه أبوابُ الجِنان، وتُغلَّقُ فيه أبوابُ النِّيران، وتُصفَّدُ فيه الشَّياطين، وفيه ليلةٌ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ، مَن حُرِمَ خيرَها فهو المحرُوم.

رمضانُ ميدانٌ فَسِيحٌ للتسابُقِ في الطاعاتِ، ومِنحَةٌ لتزكِيةِ النُّفوسِ مِن الدَّرَن والآفات، شهرٌ كريمٌ تُضاعَفُ فيه الأعمالُ وتُكفَّرُ فيه الخطايا والأوزار؛ قال ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**» (رواه مسلم).

فيه يُؤدِّي المُسلمون رُكناً مِن أركان الإسلام، وهو مظهَرٌ عمليٌّ لِعَظَمةِ هذا الدِّين وجمعِه لكلمةِ المُسلمين، وفيه يتجلَّى قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

واغتِنامُ مواسِمِ الخيرات فتحٌ مِن اللَّه لمَن أحَبَّ مِن عبادِه، في رمضان يجتَمِعُ للمُسلمين أصولُ العِبادات وأكبَرُها؛ فالصلاةُ صِلةٌ بين

العبدِ وربِّه، ولا تُفارِقُ المُسلمَ في جميع حياتِه، وصلاةُ الرَّجُل في الجماعةِ فرضٌ، وهي تعدِلُ صلاتَه في بيتِه وسُوقِه سبعاً وعشرين درجة.

وحرِيٌّ بالمُسلم أن يستَعِينَ بصَومِه على صَلاتِه، وأن يكون له في اللَّيل أكبَرُ الحظِّ مِن الصَّلاة؛ فـ«**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه)، و«**مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ؛ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**» (رواه الترمذي).

والزَّكاة والصَّدقة طُهرةٌ للمال ونماءٌ، وغِنًى للنَّفسِ وزكاة، فأَثَرُها ظاهرٌ على النَّفسِ والمال والولَد، دافِعةٌ للبلاء، جالِبةٌ للرَّخاء، ومَن جادَ على عبادِ اللَّه جادَ اللَّه عليه؛ قال ﷺ: «**قَالَ اللَّهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ! أَنْفِقْ؛ أُنفِقْ عَلَيْكَ**» (متفق عليه).

و«**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ**» يوم القيامة، فتَصدَّقْ ولو بالقَلِيلِ، وطِبْ بها نفساً، وواسِ بها محرُوماً، و«**مَنْ فَطَّرَ صَائِماً، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ**»، وكان مِن هديه ﷺ: النَّفقةُ والجُود؛ يُعطِي عطاءَ من لا يخشى الفَقْرَ، إِنْ أنفَقَ أجزَلَ، وإِنْ منَحَ أغدَقَ، لا يرُدُّ سائلاً، وما سُئِلَ شيئاً إلا أعطاه، وكان ﷺ أجوَدَ ما يكون في رمضان؛ فلَهُو فيه أجوَدُ مِن الرِّيح المُرسَلَة.

والصِّيامُ أعظمُ شَعيرةٍ في هذا الشَّهر الفَضِيل، يتزوَّدُ المُسلمون فيه مِن التَّقوَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، ثوابُه بلا عدٍّ ولا حصرٍ؛ قال اللَّه في الحديثِ القُدْسيِّ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا**

أَجْزِي بِهِ» (متفق عليه)، و«**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه)، والصَّومُ يَحُولُ بين أهلِه وبين الشُّرورِ والآثام؛ قال ﷺ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ**» (متفق عليه).

ومِن الأعمالِ الصَّالِحةِ الَّتي تُغتَنَمُ: العُمرة؛ قال ﷺ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً**» (متفق عليه).

والقُرآنُ كلامُ اللَّه تعالى وحُجَّتُه على خلقِه، وهو يَنْبُوعُ الحكمةِ وآيةُ الرِّسالة، لا طريقَ إلى اللَّه سِواه، ولا نجاةَ لنا بغيرِه، نُورُ البصائرِ والأبصار، مَن قَرُبَ مِنه شَرُف، ومَن أخَذَ به عَزَّ، تِلاوتُه أجرٌ وهِداية، ومُدارستُه علمٌ وثبات، والعملُ به حِصْنٌ وأمانٌ، وتَعْليمُه والدَّعوةُ إليه تاجٌ على رُؤوسِ الأبرار.

وفي رمضانَ نزلَ القرآن، فيتأكَّدُ الإكثارُ مِنه قراءةً وتدبُّراً وتعلُّماً وتعليماً وعملاً وامتِثالاً؛ قال ﷻ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾، وكان جبريلُ عليه السلام يُدارِسُ نبيَّنا ﷺ القرآنَ فيه مرَّةً في كلِّ عام، وفي العامِ الذي ماتَ فيه ﷺ دارَسَه مرَّتَين.

والدُّعاءُ عبادةٌ وقُربةٌ، مغنَمٌ بلا عناء، ورِبحٌ ليس فيه شَقاء، وهو جالِبٌ للرَّخاء وعدُوٌّ لكل بلاء، و«**لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ**»، به يصِلُ العبدُ لِمُناه، ويُدرِكُ مطلُوبَه؛ فكَم قرَّبَ مِن بعيدٍ؟! وكَم يسَّرَ مِن عسِيرٍ؟! وكَم فرَّجَ مِن كُربٍ؟! وأجوَبُ الدُّعاء ما كان في جَوفِ اللَّيلِ الآخر، وإذا انكسَرَ العبدُ بين يدَي ربِّه أجابَ اللَّه سُؤْلَه، وإذا جاعَت

النَّفسُ رقَّ القلبُ وصفَا، والصَّائِمُ لا تُردُّ دعوتُه، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصَّائِمُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ فِي عِبَادَةٍ، وَيُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُ فِي صِيَامِهِ وَعِنْدَ فِطْرِهِ، فَهُوَ فِي نَهَارِهِ صَائِمٌ صَابِرٌ، وَفِي لَيْلِهِ طَاعِمٌ شَاكِرٌ»؛ فالمُوفَّقُ مَن أكثَرَ قَرْعَ بابِ السَّماء، وجعلَ لنفسِه مِن هذه الأيَّام واللَّيالي مُدَّخراً.

وذِكرُ اللَّه عبادةٌ عظيمةٌ ميسُورة، ومَنْ ذكرَ اللَّهَ ذكرَه، والعبدُ إن لم يشتَغِل لِسانُه بالذِّكر شغَلَه بفُضُول الكلامِ ومعاصِيه.

وحُسنُ المعاملةِ من الدِّين وأَوْلَى الخلقِ بإحسانِك: مَنْ قَرَنَ اللَّه حقَّهُم بحقِّه؛ فالوالِدان جنَّتُك ونارُك، وهما أحَقُّ الناسِ بحُسنِ صُحبَتِك؛ قال ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ - أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا - فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ» (رواه مسلم)، و«الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي؛ وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي؛ قَطَعَهُ اللَّهُ» (متفق عليه)، و«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (متفق عليه).

ومِن كمالِ الطَّاعةِ: حِفظُها مِن كلِّ ما يُنقِصُها أو ينقُضُها، والصَّائِمُ أشدُّ ما يكون حِرصاً على حِفظِ عبادتِه وحفظِ صِيامِه مِن خوارِقِه ومُفسِداتِه؛ قال ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ؛ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» (متفق عليه)، وكان مِن هَدْيِ السَّلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ إذا صامُوا جلَسُوا في المساجِد، وقالُوا: «نَحفَظُ صِيَامَنَا وَلَا نَغْتَابُ أَحداً»، قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَتَعَاهَدَ صَوْمَهُ مِنْ لِسَانِهِ وَلَا يُمَارِي».

وبعدُ، أيُّها المُسلمون:

فالبِرُّ لا يكونُ على تمامِه، ولا يقُومُ على سُوقِه ومكانِه إلا بمحبَّةٍ تحدُو بصاحِبِها إلى الإخلاصِ، وبصِدقٍ يبعَثُ إلى حُسن المُتابَعة، والعملُ لا يكون قُربةً حتى يكونَ الباعِثُ عليه الإيمانَ لا العادةَ والهوَى، ولا طلَبَ السُّمعَة والرِّياء، وحتى يكونَ غايتُه ثوابَ اللَّه وابتِغاءَ مرضاتِه، إذا اجتمَعَ الإيمانُ والاحتِسابُ في عملٍ تحقَّقَ القَبول والغُفران.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

باركَ اللَّه لي ولكم في القرآنِ العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

ستَنقَضِي الدُّنيا بأفراحِها وأحزانِها، وتنتَهِي الأعمارُ بطُولِها وقِصَرِها، ويلقَى الجميعُ ربَّهم، وحينَها: ﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾؛ فاستَقبِلُوا شَهرَكم بتوبةٍ صادِقةٍ، واعقِدُوا العزم على اغتِنامِه وعِمارةِ أوقاتِه بالطَّاعة، فما الحياةُ إلا أنفاسٌ معدُودة، وآجالٌ محدُودة، واغتَنِمُوا شريفَ الأوقات.

والمَغبُونُ مَن أدرَكَ رمضان ولم يُغفَر له؛ قال ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ**» (رواه الترمذي)، و«**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّوْرِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**» (رواه البخاري).

ومِنْ أعظمِ ما يُصلِح القلبَ: ذكرُ اللَّه، وملازمةُ القرآن العظيم، وقيامُ اللَّيل، ومجالسةُ الصَّالحين.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَيَّامٌ ثَمِينَةٌ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

شرُفت هذه الأمَّةُ بشهرٍ تتطهَّرُ فيه النُّفوسُ من العصيان والآثام، ومن نقائص الخصال، يشغَل المسلمون فيه أوقاتَهم بالطاعة وتلاوةِ القرآن، يُنزِّهُ الصِّيامُ نفوسَهم، ويهذِّبُ القِيامُ أخلاقَهم، ويُلِينُ القرآنُ قلوبَهم، يتسَابقون في ليالِيه بالفَضائل، ويتنافسون في أيَّامه بالجود.

وفي عَشرِه الأواخر تزكو الأعمال وتُنالُ الآمَال، ولياليه تحيا بالتَّعبُّد والتَّهجُّد، تقولُ عائشةُ ﵂: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ: أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ» (متفق عليه)، وكان ﷺ

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الثَّامن عشَر من شهر رمضان، سنة ست وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

يضاعِف أعماله الصَّالحةَ في شهرِ رمضان، ويخصُّ العشرَ مِنها بالمضاعفةِ، تقول عائشة ﵂: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» (رواه مسلم).

إِنَّها سوقٌ يتنافَسُ فيها المشمِّرون، وامتِحانٌ تُبتَلَى فيها الهِمَم، وفي العَشرِ الأواخرِ ليلةٌ مباركةٌ هي تاجُ ليالي الدَّهر، كثيرةُ البرَكات، عزيزة الساعات، القليل مِنَ العمل فيها كثير، والكثيرُ منها مُضَاعَف: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، ينزل مِنَ السَّماءِ خَلقٌ عَظيم لشُهودِ تلكَ اللّيلةِ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾، القَائمُ في ليلَتِها بالتَّعبُّد مغفورٌ له ذنبُه، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه)، فيها تُفتَحُ الأبوابُ، ويُسمَعُ الخطاب، يَصِلُ فيهَا الرَّبُّ ويَقطَع، يُعطي ويَمنَع، يَخفِض ويَرفَع، تقول عائشة ﵂: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ القَدْرِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: **قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي**» (رواه الترمذي).

أيُّها المسلمون:

«**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ**» (رواه مسلم)، ولم يَكنِ النَّبيُّ ﷺ يدَعُ قيامَ اللَّيل في سَفَرٍ أو حَضَرٍ، وكان يُصَلِّيه قائماً وقاعداً حتى تَتفطَّرَ قدماه، وسارَ رَكْبُ الصَّحابةِ المبارك على ذلك الهَدْي؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾، وقال سبحانه: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾.

والقيامُ للَّهِ في الظُّلَم من أعمَال أهل الإيمان: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾، وصَلاةُ اللَّيل أعظمُ ما يُرجَى، وأزكَى ما يُقدَّم، وهي مِن أسبابِ دُخولِ الجِنان، يقولُ المصطفى ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (رواه الترمذي)، وليالي رمضانَ مُبَشَّرٌ من قامَها بغُفرانِ الذُّنوبِ؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ قامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه).

أيُّها المسلمون:

الدُّعاءُ حَبلٌ ممدودٌ بين السَّماء والأرض، وهو المغنَمُ بلا عَناءٍ، ومِن أنفعِ الأدوِيَة للدَّاء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، وفي كلِّ ليلةٍ ساعةُ إجابةٍ، الأبوابُ فيها تُفتَّح، والكَريم فيها يَمْنَح، فسَلْ فيها ما شِئتَ؛ فخزائِن اللَّه ملأَى، والمعطِي كريم، وأيقِن بالإجابةِ؛ فالرَّبُّ قديرٌ، وبُثَّ إليه شكواك فإنَّه الرَّحيم، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ فِي اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**» (رواه مسلم)، ونَسَماتُ آخِرِ اللَّيل مظِنَّة إجابَةِ الدَّعوات؛ قيل للنَّبيِّ ﷺ: «أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: **جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ، وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ**» (رواه الترمذي).

والعبدُ مفتقِرٌ إلى محوِ أدران خطاياه، والانكسارِ بين يدَي اللَّهِ والافتقارِ إليه، ومِنْ أرجَى أحوال التذلُّل: الاعتكاف في بيتٍ من بيوت اللَّه طلباً لعفوِ اللَّه، وكان نبيُّنا ﷺ يعتَكفُ العشرَ الأخيرةَ من رمَضان.

وإذا قَرُب العبدُ من ربِّه لطَفَ اللَّه به، وساق إليه الإحسانَ من حيثُ لا يشعُر، وعصمَه من الشرِّ من حيث لا يحتَسِب.

أيُّها المسلمون:

الزَّكاةُ رُكنٌ من أركانِ الإسلام ومبنًى من مبانِيه العظام، فيها تقوَى أواصِرُ المودَّة بين المسلِمين، وفيها تطهيرُ النُّفوسِ وتزكِيَتُها من الشُّحِّ؛ يقول تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، وهِيَ حقٌّ واجِبٌ، وفرضٌ لازمٌ، وشريعةٌ عادِلةٌ، فيها استِجلاب البركةِ والزِّيادةِ والخُلف من اللَّه ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾.

في الزَّكاةِ سموٌّ بالأرواح والأخلاقِ بالجود والسخاء، بها يكتَمِل العدلُ ويَعمُّ الرخاء، ويَسعَدُ الفقراء، وهي حِليَة الأغنياء، وزِينة الأتقياء، ووصيَّة الأنبياء: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾، ولقد جاء الوعيدُ في حقِّ مَنْ بَخِل بها؛ يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾، وصحَّ عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعاً أَقْرَعَ** - وهو ثُعبان سقطتْ فَرْوَةُ رأسه من كثرة سُمِّه -، **لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ** - يَعْنِي: شِدْقَيْهِ -، **ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ**، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: **﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾**» (متفق عليه).

فتَوَاضَعْ بقلبِكَ للمسكين، وابذُلْ له من المال، وادْنُ منه، واحْنُ عليه، ولا تحتَقِر فقيراً، فإنَّ أكثرَ أهل الجنة هم الفقراء، وأنفِق بكرَم يدٍ وسَخاوةِ نفسٍ؛ يُبارَك لك في المالِ والوَلد، والصَّدقةُ دواءُ الأمراضِ والأعراض، فابتغوا الضُّعفاءَ والمحاويج، وابذُلُوا تُرزَقوا، وارْحَمُوهم تُرحَموا، فما اشْتَكى فقيرٌ إلَّا مِنْ تقصيرٍ غنيٍّ.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فللشَّهرِ العظيمِ حُرْمَتُه، وعلى المسلم أن يتجنَّبَ خوارقَ صيامه، وأن يحفظَ بصرَه عن النَّظرِ إلى المُحرَّمات، وسمعَه عن السَّيِّئات، وأن يصونَ وقتَه عن المُلْهيات، فللوقتِ الباقي في هذا الشَّهر قيمتُه، وللزَّمن اليسيرِ فيه قَدْرُه، فيه تُسكَبُ العبراتُ بكاءً على السَّيِّئاتِ، فكم لربِّ العزَّة من عتيقٍ من النَّارِ؟! وكم من أسيرٍ للذُّنوبِ وصَله اللَّه بعد القطعِ وكتب له السَّعادةَ من بعد طول شقاء؟!

وعلى المرأةِ أن تتجنَّبَ عثراتِ الطريق، وأن لا تخرجَ إلى الأسواقِ إلَّا لحاجةٍ، مع التزامِها بالعَفافِ والسِّتر والحياء.

وعلى المسلم أن يُقَدِّم في أيام رمضان المبارَك توبةً صادِقة بعملٍ مِن الباقيات الصَّالحات، فما الحياةُ إلَّا أنفاسٌ معدودة وآجالٌ محدودة، والأيام مطاياكم إلى هذهِ الآجال، فاعمَلوا وأمِّلوا وأبشِروا؛ فالمَغْبُونُ

مَنِ انصرفَ أو تشَاغلَ بغيرِ طاعةِ اللَّه، والمحرومُ مَنْ حُرِم ليلةَ القدرِ، أو أدرَك شهرَ رمضان فلم يُغفَرْ له؛ قال ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ**» (رواه الترمذي).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فَضَائِلُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ (١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

أسبَغَ اللَّهُ على عبادِه النِّعَم ووالَى عليهم في العطاء والمِنَن، هِباتُه لا حدَّ لها سَعةً وكثرةً؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لَا تَغِيضُهَا** - أَيْ: لَا تَنْقُصُهَا - **نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** - أَيْ: دَائِمَةٌ بِالعَطَاءِ -» (متفق عليه).

يَجُود بالخيرات والمكارم؛ وسِعَ الخلقَ جُودُه، ودامت عليهم خيراتُه، واتَّصلت مِنَنُه وأرزاقُه، يبدَأُ العبادَ بالنَّوالِ قبل السُّؤال، ويُعطِيهم عليه أكثَر مِمَّا يخطُرُ بالخيال، وليس أحدٌ في السَّماء والأرض بمَعزِلٍ عن تلك الهِباتِ.

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، الحادي والعشرين من شهر رمضان، سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

واللَّهُ أحقُّ مَن حُمِدَ وذُكِر على آلائِه بإخلاصِ المحبَّةِ والعبادةِ له، ونِسبةِ النِّعَم إليه، وتصريفِها في طاعتِه، ومِن هِباتِه سبحانه: عَفْوُه عمَّن يشاءُ مِن عبادِه؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، فلم يزَل عفُوّاً عن ذنوبِ عبادِه بترك العقوبةِ على كثيرٍ مِنها؛ قال سبحانه: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾، عفُوٌّ يُحِبُّ العفو، ويُحِبُّ مِنْ خَلْقِه السعْيَ في تحصيلِ أسبابِ عفوِه بالاستِغفار والتَّوبةِ والإنابةِ والأعمالِ الصَّالِحة.

وفي رمضانَ تتجلَّى هِباتُ اللَّهِ وعفوُه، فيه تتضاعَفُ الأعمالُ، وتُكفَّرُ الخطايا والآثام، شهرُ الصِّيامِ والقرآنِ والبِرِّ والإحسان، التِّجارةُ فيه مع اللَّه مُضاعَفة، قال ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثَوَابُ العَمَلِ يَزِيدُ بِزِيَادَةِ شَرَفِ الوَقْتِ، كَمَا يَزِيدُ بِحُضُورِ القَلْبِ وَبِخُلُوصِ القَصْدِ».

وصلاةُ اللَّيل لها شأنٌ في رمضان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه)، ومَنْ لَزِمَ القيامَ دخل الجنَّةَ بسلامٍ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**» (رواه أحمد).

والصَّدقةُ بُرهانٌ على إيمانِ صاحبِها، وكلُّ امرِئٍ في ظلِّ صدقتِه يوم القيامة، والمُنفِقُ موعُودٌ بالعِزِّ والمغفِرة، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾، وأجرُها يعظُمُ في الأيَّام الفاضِلَة؛ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ» (متفق عليه).

والعُمرةُ في رمضان ثوابُها عظيمٌ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً**» (متفق عليه).

والدُّعاءُ هو العبادةُ ومُخُّها وبه جَلْبُ الرَّخاءِ ودفعُ البلاء، وللصَّائِم دعوةٌ لا تُردُّ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي! لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**» (رواه الترمذي).

والقرآنُ حُجَّةٌ وشَفيعٌ وهُدًى وشفاءٌ، وعَدَ اللَّه قارِئه بحُسنِ الجزاءِ والمَزيدِ مِنْ فضلِه؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾، أنزله اللَّه للتَّدبُّر، فيه العظات والعِبَر، كان أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه إذا صلَّى بالنَّاسِ إماماً لا يكادُ يُسمِعُ مَنْ خَلْفَه مِن خَشيةِ اللَّه.

رمضانُ ميدانٌ فسيحٌ للمُتسابقِين فيه، زمنُ كثرة البرِّ والخيراتِ وصِلَةِ الأرحام، فيه تصفو النُّفوسُ، وتزكو الأخلاقُ، ويَتقارَبُ الخَلقُ فيما بينهم، ويَعطِفُ بعضُهم على بعضٍ.

موسمٌ مبارَكٌ آذنَت أيامُه بالانصرام، والعاقل من اغتنَمَ عشْرَه فعَمَرَها بالقُرَب والطاعاتِ، وحَفِظَ نهاره وأحيَا ليله؛ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» (رواه مسلم)، و«إِذَا

دَخَلَتِ العَشْرُ أَحْيَا النَّبِيُّ ﷺ اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ» (متفق عليه).

وفي هذه اللَّيالِي المبارَكة المتبقِّية يُستحبُّ الإكثارُ مِن ذكرِ اللَّهِ وتلاوةِ القرآن، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَمَّا الأَوْقَاتُ المُفضَّلَةُ - كَشَهْرِ رَمَضَانَ، خُصُوصاً اللَّيَالِي الَّتِي يُطْلَبُ فِيهَا لَيْلَةُ القَدْرِ -، فَيُسْتَحَبُّ الإِكْثَارُ مِنْ تِلَاوَةِ القُرْآنِ اغْتِنَاماً لِلزَّمَانِ».

وحَرِيٌّ بالمسلم فيها الحِرصُ على أَنْفَعِ الدُّعاءِ وأَجْمَعِه؛ قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: **اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ، تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي**» (رواه أحمد).

والاعتكافُ مِن خير الأعمال لتكفِيرِ السَّيِّئات، ورفع الدَّرجات، «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ» (متفق عليه)، قال الزُّهريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَجَباً لِلْمُسْلِمِينَ! تَرَكُوا الاعْتِكَافَ وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَتْرُكْهُ مُنْذُ دَخَلَ المَدِينَةَ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ».

وينبَغِي للمُعتكِفِ أن ينقطِعَ للعبادةِ ويَشتغِلَ بمَقصُودِه الأعظَم، بعيداً عن فُضُولِ الخُلطةِ والكلامِ والمنامِ، ولا يخرُجُ مِن المسجِدِ إلَّا لحاجةٍ لا بُدَّ مِنها، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَقْصُودُ الاعْتِكَافِ وَرُوحُهُ: عُكُوفُ القَلْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ، وَالخَلْوَةُ بِهِ، وَالِانْقِطَاعُ

عَنِ الاشْتِغَالِ بِالخَلْقِ، وَالاشْتِغَالُ بِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ؛ بِحَيْثُ يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبُّهُ وَالإِقْبَالُ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّ هُمُومِ القَلْبِ وَخَطَرَاتِهِ».

وفي العشر: يَتحرَّى المسلمون ليلةَ القَدر؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**» (متفق عليه)، ليلةٌ عظيمةٌ ذاتُ قَدْرٍ وشَرَفٍ، أنزلَ اللَّه فيها سُورةً؛ تعظيماً لقَدرِها، وتشريفاً لأمرِها، وإعلاءً لشأنِها، فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾، جعلها مُباركةً كثيرةَ الخير؛ فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾، ومِنْ بركاتِها: نُزولُ القرآنِ فيها؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، وفيها تتنزَّلُ الملائكةُ إلى الأرضِ؛ قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «يَكْثُرُ تَنَزُّلُ المَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؛ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالمَلَائِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ البَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ القُرْآنِ، وَيُحِيطُونَ بِحِلَقِ الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ العِلْمِ بِصِدْقٍ؛ تَعْظِيماً لَهُ»، ليلةُ سَلامٍ وأمنٍ واطمئنانٍ؛ قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ أي: سالِمةٌ مِن الشُّرور، إحياؤُها بالعبادة مغنَمٌ كبيرٌ؛ قال تعالى: ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، وفيها تُقدَّرُ مقاديرُ الخلقِ لجميعِ العام؛ قال ﷻ: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالأعمالُ بالخواتيم، والعِبرةُ بكمال النِّهاياتِ لا بنَقصِ البداياتِ، ومن أساء فيما مضى فَلْيَتُبْ فيما بقِي؛ فبابُ التَّوبةِ مفتُوحٌ، وعطاءُ اللَّه ممنُوحٌ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

الدُّنيا ساعاتٌ وأيَّام، وهي من صحائِفِ الأعمار، وعُمُر الإنسانِ منها عملُه، والسعيدُ مَن خلَّدَها بأحسَنِ الأعمالِ، والفائِزُ مَن اغتنم بالخير لحظات وقتِه، ولم يُفرِّط في شيءٍ مِن دهرِه، والمَغْبونُ مَنِ انْفَرَطَ أمرُه وغفل قلبُه واتَّبع هواه، والمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ الخير في رمضان، قال النَّبيُّ ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ**» (رواه الترمذي).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

لَيْلَةُ القَدْرِ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

خلق اللَّهُ الثَّقلَيْنِ لعبادتِه، وهو سبحانه غنيٌّ عنهم ولا غِنَى لهم عنه، وعبادتُه وحده سببُ دخولِ جنَّاتِ النَّعيم؛ «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: **تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**» (متفق عليه).

وعبادتُه تعالى في كلِّ مكانٍ وآنٍ، وجعل سبحانه رمضانَ موسِمَ التَّعبُّد له؛ فكان ﷺ يخُصُّه من العبادة بما لا يخُصُّ غيرَه من الشُّهور،

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، العشرين من شهر رمضان، سنة خمس وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

وحرَصَ الصحابة ﵃ على اغتِنام لحظاته، وكان أبو هريرة وأصحابُه ﵃ «إِذَا صَامُوا قَعَدُوا فِي المَسْجِدِ، وَقَالُوا: نُطَهِّرُ صِيَامَنَا» (رواه أبو نُعيم).

ومن فضلِه سبحانه: أنْ جَعَلَ في موسِمِ رمضانَ مواسِم؛ ففضَّل العشرَ الأخيرةَ على سائر ليالي الشَّهر، وجعل ليلةَ القدر أفضلَ ليلةٍ في الشَّهر، وكان النَّبيُّ ﷺ يخصُّ العشرَ الأواخر من رمضان بأعمالٍ لا يعملُها في بقيَّة الشُّهور؛ فـ«إِذَا دَخَلَتِ العَشْرُ أَحيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ المِئْزَرَ» (متفق عليه)، وجدَّ واجتهَد في طاعة اللَّه، يتحرَّى فيها ليلةً مُباركةً هي تاجُ اللَّيالي، بركاتُها عديدة، وساعاتُها معدودة، نوَّه سبحانه بشأنها، وأظهر عظمتَها؛ فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾، العملُ القليلُ فيها كثير، والكثيرُ منها مُضاعَف، العبادةُ فيها أفضلُ من عبادة ألف شهر، وأفضلُ الكتب السَّماوية نَزَلَ في ليلتها: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

ومن تشريفِ القرآنِ العظيم: الإكثارُ من تلاوته في الشَّهر الذي نزل فيه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، وكان جبريلُ ﵇ يُدَارِسُ النَّبيَّ ﷺ القرآنَ في كل ليلة من رمضان، وفي العامِ الذي تُوفِّيَ فيه دَارَسَهُ القرآن في رمضان مرَّتَيْن؛ فحقيقٌ بالمُسلمِ أن يُكثِرَ من تلاوة كتابِ اللَّه في شهر الفضائل؛ لينالَ فضلَ القرآن في شهرِ رمضان.

ليلةُ القدر ليلةٌ عظيمةٌ، أخبرَ اللَّه أنَّ ممَّا يَحدثُ فيها: أنه يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ – أي: يُفصَلُ من اللَّوْحِ المحفوظِ إلى الكَتَبَة أَمرُ السَّنَةِ وما

يكون فيها من الآجال، والأرزاق، والخير والشَّرِّ، وغير ذلك -، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سُمِّيَتِ القَدْرُ: أَيْ: لَيْلَةُ الحُكْمِ وَالفَصْلِ»، يَصِلُ فيها الرَّبُّ ويَقْطع، يَخفِضُ ويَرْفع، يُعطِي ويَمنَع؛ كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: ما يُقدِّرُه اللَّه فيها مُحكَمٌ لا يُبدَّلُ ولا يُغيَّر.

ليلةٌ لكثرة بركَتها تتنزَّلُ فيها الملائكة - والملائكةُ تتنزَّلُ مع البركة والرَّحمة -، ليلةٌ هي سلامٌ من اللَّه، فكلُّها خيرٌ لا شرَّ فيها إلى مَطلَع الفجرِ، وأُخفِيَت متى هي في العشر؛ ليجتهِدَ طُلابُها في ابتغائها، ويزداد المسلمون من العبادةِ في العشر جميعاً.

ويُستحبُّ للعبد الإكثارُ من الدُّعاء والصَّلاةِ وفِعلِ الخير في العشر، قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَرَةٌ، وَثَمَرَةُ الصَّلَاةِ: الدُّعَاءُ»، قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ القَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: **قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ، تُحِبُّ العَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنِّي**» (رواه الترمذي)، والقائمُ في ليلتها بالتَّعبُّد مغفورٌ له ذنبُه؛ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه).

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعتكِفُ في العشر الأواخِر يتحرَّى ليلةَ القدر؛ قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ» (متفق عليه)، قال ابنُ بطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِاعْتِكَافَ مِنَ السُّنَنِ المُؤَكَّدَةِ؛ لِأَنَّهُ مِمَّا وَاظَبَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ الِاقْتِدَاءُ فِي ذَلِكَ بِنَبِيِّهِمْ».

في الاعتكافِ قَطْعُ العلائِق عن الخلائِق للتَّفرُّغِ لعبادة الخالِق، وإذا قوِيَت الصِّلةُ باللَّهِ رضِيَ الرَّبُّ عن العبد، قال ابن شهابٍ ﵀: «عَجَباً لِلْمُسْلِمِينَ! تَرَكُوا الِاعْتِكَافَ وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَتْرُكْهُ مُنْذُ دَخَلَ المَدِينَةَ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ».

والمُعتكِفُ يَعْكُفُ على طاعة اللَّه، ويُقيمُ عليها مُدَّة اعتكافِه في أحبِّ البِقاع إلى اللَّه - المساجد -، ويُقيمُ فيها على الطَّاعة والعبادة، والخضوع والخشوع والابتهال، فلا يكون همُّه إلَّا اللَّه، ولا مقصودُه إلَّا إيَّاه، ولا مُرادُه سِواه ﷻ، ويَخرُج من الاعتكاف وقد اعتكف قلبُه على طاعة اللَّه، فيكون أوَّاهاً مُنيباً إليه سبحانه.

ورمضانُ موسِمٌ للمُتصدِّقين؛ يتنافسُ فيه الأغنياءُ بالبذلِ والإنفاقِ في فعل الخيرات، وصنائعِ المعروف، ومدِّ يدِ العَوْنِ والمساعَدةِ، والصَّدقةِ إلى ذوي الفَاقَة، والمساكِينِ، وإتحافِ الفُقراء؛ فـ«دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ»؛ فإنها تَدفعُ الأمراضَ والأعراضَ، وابتغُوا الضُّعفاءَ والمحاوِيج، وارزُقوهم تُرزَقوا، وارحمُوهم تُرحَموا؛ فما اشتكَى فقيرٌ إلَّا من تقصير غنيٍّ.

ومن صِفات الأبرار: أنَّ عطاءَهم خالِصٌ لوجه اللَّه، لا يطلبون من الفقراء الثَّناءَ والدُّعاء، فلا تجعلْ صدقتَك رجاءَ دعوةِ الفقير لك، وإنَّما رضا اللَّه سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾، قال شيخُ الإسلام ﵀: «وَمَنْ طَلَبَ مِنَ الفُقَرَاءِ الدُّعَاءَ أَوِ الثَّنَاءَ خَرَجَ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ».

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فالأجورُ في رمضانَ مُضاعَفة، وأبوابُ الجنَّة فيه مفتوحة، وقُدومُه عُبورٌ لا يَقْبَلُ الفُتور، وشهرُه قصيرٌ لا يحتملُ التَّقصير، فسابِقْ إلى الخيرات، وإن استطعت أن لا يسبِقَك إلى اللَّه أحدٌ؛ فافعَل.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

رمضانُ مغنَمٌ للتَّوبة والإنابة، يُقيلُ اللَّه فيه العثَرَات، ويمحُو فيه الخطايا والسَّيِّئات؛ فأقبِلْ على اللَّه بالنَّدم على التَّفريط، والعزمِ على مُجانبَة الآثام، وهو سبحانه يُحِبُّ الآيِبَ إليه، ويَفرحُ بتوبةِ التَّائِب؛ فتَعرَّضُوا لنفحَات ربِّكم، واسْتَنزِلوا الرِّزقَ بالاستغفار، والعاقلُ من ينتهِزُ بقيَّةَ لحظاتِ شهره، فيَشغَلُها بالطاعات وعظيمِ القُرُبات، ويَستبدِلُ السَّيِّئاتِ بالحسنات.

وإذا تكاسَلْتَ عن فعل الخير؛ فتذكَّر قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، ومن كان في شهرِه مُنيباً، وفي عملِه مُصيباً؛ فَلْيُحْكِمِ البِناء، وَلْيَشكرِ اللَّهَ على النَّعماء، ولا يكُن كالَّتي نقضَتْ غزلَها من بعدِ قوَّةٍ أنكاثاً.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

رَحِيلُ رَمَضَانَ[١]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

يُنْزِلُ اللَّهُ على عبادِه مواسمَ الخيرات لِيتزوَّدُوا من الطاعات، ولِحكْمتِه سبحانه لا تدومُ الأيَّامُ المباركات؛ ليتسابقَ المتسابقون في لحظاتِها ويُحرَمَ من فضلها المقصرون.

وقد حلَّ بالمسلمين زمنٌ فاضلٌ؛ في نهارِه صيامٌ وبذلٌ وعطاء، وفي ليلِه تهجُّدٌ وقرآنٌ ودعاء، كم منْ مسيءٍ غُفر له؟! وكم من محرومٍ وُهِبَ له؟! وكم من شقيٍّ كُتِبتْ له السَّعادة؟! وكم من دعوةٍ استُجيبت؟! وكم منْ عملٍ صالحٍ كان سببَ دخولِ الجنَّة؟!

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، التَّاسع والعشرين من شهر رمضان، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

أيَّامٌ مباركةٌ أَذِنتْ بالرَّحيلِ وأَوْشَكَتْ على الزَّوال، مَوْسمٌ يُودِّعُه المسلمون، كم من حيٍّ لَنْ يَعُودَ عليه رمضانُ وكُتِبَ في عِدادِ أهلِ القبور فيكون مرهوناً بعمله؟ قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، والعاقلُ مَنِ انْتَهَزَ بقيَّةَ لحظاتِ شهرِه فشغَلها بالطَّاعاتِ وعظيمِ القُرُبات واستبدلَ السَّيِّئاتِ بالحسنات، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «العِبْرَةُ بِكَمَالِ النِّهَايَاتِ لَا بِنَقْصِ البِدَايَاتِ»، فمَنْ كان في شهرِه مُنِيباً وفي عملِه مُصِيباً؛ فليُحْكِمِ البِنَاءَ وليَشكُرِ اللَّهَ على النَّعماء، ولا يكنْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً، ومَنْ كان مسيئاً؛ فليتبْ إلى اللَّهِ ما دامَ بابُ التَّوبة مفتوحاً، فرمضان موسمٌ لتوبةِ العاصين.

أيُّها المسلمون:

الاستغفارُ ختامُ الأعمالِ الصَّالحة، يُخْتَمُ به الصَّلاة والحجُّ وآخرُ اللَّيل، ومِنْ خيرِ ما يُخْتَمُ به شهرُ رمضان: كثرةُ الاستغفار، وتلاوةُ القرآن، والدُّعاء؛ فالأعمالُ بالخواتيم.

وإذا أكملَ المسلمُ العملَ وأتمَّه بقي عليه الخشيةُ من عدم قَبولِه أو فسادِه بعد قبولِه؛ قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُونُوا لِقَبُولِ العَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكُمْ بِالعَمَلِ»، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، قال سلمةُ بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخَوْفُ عَلَى العَمَلِ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ أَشَدُّ مِنَ العَمَلِ».

والمرءُ مأمورٌ بعبادةِ الرَّحمنِ في كلِّ وقتٍ وآن؛ قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، ومَنْ كان يعملُ الصَّالحات في رمضان؛ فليداومْ عليها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ:**

أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ» (متفق عليه)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَلِيلُ العَمَلِ الدَّائِمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يَنْقَطِعُ، وَإِنَّمَا كَانَ القَلِيلُ الدَّائِمُ خَيْراً مِنَ الكَثِيرِ المُنْقَطِعِ؛ لِأَنَّ بِدَوَامِ القَلِيلِ تَدُومُ الطَّاعَةُ وَالذِّكْرُ وَالمُرَاقَبَةُ، وَالنِّيَّةُ وَالإِخْلَاصُ وَالإِقْبَالُ عَلَى الخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيُثْمِرُ القَلِيلُ الدَّائِمُ بِحَيْثُ يَزِيدُ عَلَى الكَثِيرِ المُنْقَطِعِ أَضْعَافاً كَثِيرَةً».

ومِنْ كرَمِ اللَّه أنَّ الأعمالَ الصَّالحةَ في رمضانَ دائمةٌ طوالَ العام؛ فيُشرَعُ صيامُ ستٍّ من شوَّال، ومَنْ صامَها كان كصيامِ الدَّهر، وصيامُ الاثنين والخميس وثلاثة أيَّام من كلِّ شهر مُرغَّبٌ فيه، وتلاوةُ القرآنِ العظيمِ مأمورٌ بها على الدَّوام، وقيامُ اللَّيلِ مشروعٌ في كلِّ ليلةٍ يغرُبُ شمسُ نهارِها، والصَّدقةُ بابٌ مفتوح، والدُّعاء لا غِنى للمرءِ عنه في حياتِه.

ومَنْ عَمِلَ طاعةً فعلامةُ قَبولِها: أن يَصِلَهَا بطاعةٍ أخرى، وعلامةُ ردِّها: أن يُعقِبَ تلك الطَّاعةَ بمعصية، وما أحسنَ الحسنةَ بعد السَّيِّئةِ تمحوها! وأحسنُ منها الحسنةُ بعد الحسنة تتلوها، وما أقبحَ السَّيِّئةَ بعد الحسنةِ تمحقُها وتعفوها! فزَكُّوا أنفسكم بفعلِ الطَّاعة والإخلاصِ في العبادة، وصدقِ التَّوبةِ إلى اللَّه؛ طمعاً في عظيمِ مغفرتِه وواسعِ رحمتِه وجزيلِ عطائه.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

بارك اللَّهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

شرعَ اللَّهُ في ختامِ الشَّهرِ زكاةَ الفطرِ طُهرةً للصَّائم من اللَّغوِ والرَّفَث، وطُعمةً للمساكين، قال ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ: صَاعاً مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى العَبْدِ وَالحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ» (متفق عليه)، ويُستحبُّ إخراجُ الزَّكاةِ عن الجنين، ولا بأسَ بنقلِ الزَّكاة إلى بلدٍ آخر، وإخراجُها في المحلِّ الذي أنتَ فيه أفضل، ويجوز إخراجُها قبل العيد بيومٍ أو يومين، ويُستحبُّ إخراجُها حينَ الذَّهابِ إلى صلاةِ العيد.

والعيدُ فَرَحٌ بتفاؤلِ قَبولِ الأعمالِ الصَّالحة في شهرِ البركات؛ فيُشرَعُ التَّكبيرُ من ليلتِه إلى صلاةِ العيد، وكان النَّبيُّ ﷺ يَخْرُج إلى العيد في أجمل ثيابه، و«كَانَ لَا يَغْدُو يَوْمَ الفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ» (رواه البخاري)، و«كَانَ إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ - أَيْ: خَرَجَ مِنْ طَرِيقٍ إِلَى المُصَلَّى وَعَادَ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ -» (رواه البخاري).

ومَنْ فاتته صلاةُ العيد فإنَّه يصلِّيها على صفتِها، سواءٌ في المصلَّى أو في غيرِه - جماعةً أو فرادى -، قال البخاريُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا فَاتَهُ العِيدُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ».

والعيدُ سرورٌ واستبشارٌ بإسباغِ فضلِ اللَّهِ على عبادِه؛ فيُكْثِرُ العبدُ في يومِ العيدِ من ذِكْرِ اللَّه؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَإِنَّ هَذِهِ الأَيَّامَ: أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**» (رواه أبو داود).

وَلْيَحذرِ المسلمُ أن يتجاوزَ في العيدِ ما حدَّه اللَّه له؛ فيهدمَ ما بناه في رمضان، ولْيَكُنْ على وجهِك في العيدِ وغيرِه نورُ الطَّاعةِ وسَمْتُ العبادة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

انْقِضَاءُ رَمَضَانَ[١]

إنَّ الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّهِ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

عاش المسلمون في هذا الشَّهر المبارك زمناً فاضلاً، نهارُه صيامٌ وليلُه قيامٌ، عُمِرَتْ فيه المساجدُ بالطَّاعة والقرآن، ويتقلَّبون في لحظاته بين ذِكْرٍ ودعاءٍ وبَذْلٍ وعطاء، القلوب مُخْبِتة والجوارح مُقْبِلة؛ فذاق المؤمنون فيه من طعمِ الإيمانِ وحلاوتِه، وها هي أيامُه قد آذنت بالرَّحيل، وأَوْشَكَت على الزوال، والمُوفَّقُ مَنِ اغتنم باقيَ لحظاته؛ فالأعمال بالخواتيم، والعبرة بكمال النِّهايات، وَمَنْ كان في شهره منيباً وفي عمله مصيباً فَلْيُحكِمِ البناءَ، ولْيَشكُرِ اللَّهَ على النَّعماء، ولا يكن

---

(١) أُلقِيَتْ يوم الجمعة، السَّادس والعشرين من شهر رمضان، سنة أربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

كالتي نقضت غَزْلَها من بعد قوّةٍ أنكاثاً، فحِفْظُ الطَّاعةِ أشقُّ من فعلها، ومِنْ دعاءِ الصَّالحين: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَمَلَ الصَّالِحَ وَحِفْظَهُ».

ومَنْ كان مُقَصِّراً فَلْيُبادِرْ بالتَّوبة النَّصوح؛ فإنَّ البابَ مفتوح، قال ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ**» (رواه أحمد).

وكونوا لِقَبول العملِ أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، والمؤمن يجمعُ بين إحسانٍ ومخافة، حاله كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾، قالت عائشة رضي الله عنها: «يَا رَسُوْلَ اللَّهِ! أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: **لَا، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُوْمُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾**» (رواه الترمذي).

ولَئِن انقضَى شهرُ رمضان؛ فإنَّ زمنَ العمل لا ينقضي إلَّا بالموت؛ قال عز وجل: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾، وقليلُ العملِ الدَّائمِ خيرٌ من كثيرٍ منقطعٍ؛ قال ﷺ: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ**» (متفق عليه)، ومن علامة قَبول الحسنةِ: فعلُ الحسنة بعدها، وما أحسنَ الحسنةَ بعد السَّيِّئة تمحوها! وأحسنُ من ذلك الحسنةُ بعد الحسنةِ تتلوها.

ومِنْ فضل اللَّه أنَّ أعمال رمضان دائمةٌ طوالَ العامِ؛ من تلاوةٍ وصدقةٍ وصيامٍ وعمرةٍ ودعاءٍ وقيام، وغيرِ ذلك مِمَّا شرعه اللَّه لعباده

على الدَّوام، وفي استدامةِ الطَّاعةِ وامتدادِ زمانها نعيمٌ للصَّالحين، وقرةُ عَيْنٍ للمؤمنين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

وفي ختامِ رمضانَ بُشرى لأهل الصِّيام والقيام؛ قال ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه)، و«**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» (متفق عليه)، و«**لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ**» (متفق عليه).

والحياة أنفاسٌ معدودة، وآجالٌ محدودة، وإنَّ عُمْراً يُقَاسُ بالأنفاس لَسَريعُ الانصرامِ، وفي انقضاء رمضان عبرةٌ بزوال الدنيا وما فيها، وكأنكم بالأعمال قد انقضت وبالدُّنيا قد مضت، وحينها كلُّ عبدٍ مرهونٌ بعمله، والفائزُ مَنِ استجابَ لداعي ربِّه، وكان من المحسنين.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

بارك اللَّهُ لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

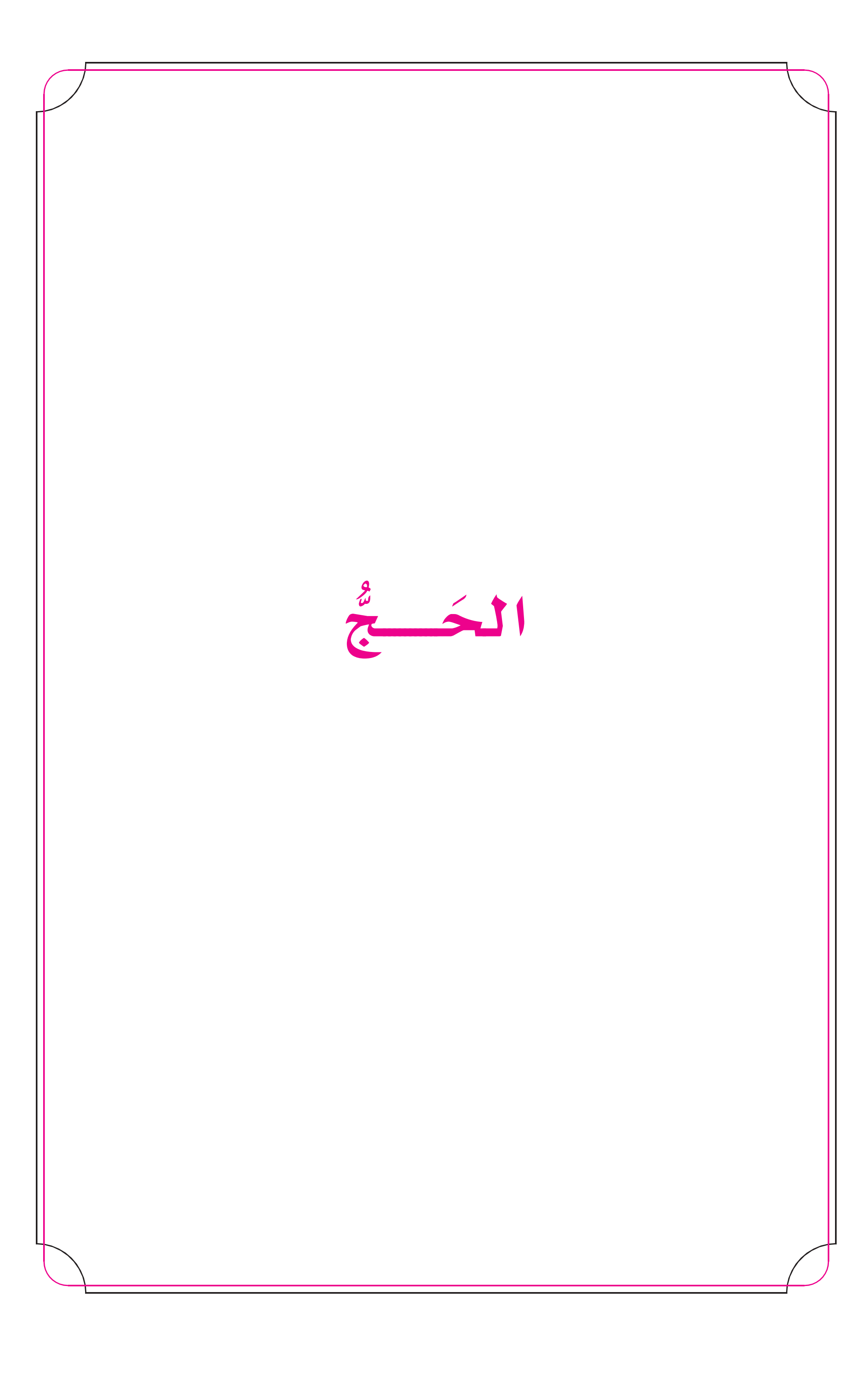
الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

خصَّ اللَّهُ ختامَ هذا الشهر بزكاة الفِطْر طُهرةً للصَّائمينَ وطُعمةً للمساكين، ومقدارها: صاع من غالب قوت البلد يُخْرِجُها المرءُ عن نفسه وعمَّن يعول، ووقت إخراجها المستحب: قبل صلاة العيد، ويجوز تقديمُها قبل ذلك بيومٍ أو يومين.

وإذا انقضى رمضانُ بغروبِ شمسِ آخِر أيَّامه يتأكَّدُ التَّكبيرُ إلى صلاة العيد؛ قال سبحانه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، و«**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِتّاً مِنْ شَوَّالٍ، فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**» (رواه مسلم).

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...



الحَـــــجُّ

الرِّحْلَةُ إِلَى الحَجِّ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

مواسمُ الخيرات على العباد تَتْرَى؛ فمَا إنْ تنقضي شعيرةٌ إلَّا وتتراءى لهم أخرى، ها هي أفواج الحجيج قد أمَّتْ بيتَ اللَّه العتيق، مُلَبِّيَة دعوة الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

بيتٌ جعله اللَّه مثابةً للنَّاس وأمْناً، حولَه تُرتَجى من الكريم الرَّحمات والعطايا، حَرَمٌ مباركٌ فيه هدًى وخيراتٌ وآياتٌ ظاهرات: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۞ فِيهِ ءَايَاتٌۢ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الثالث من شهر ذي الحِجة، سنة خمس وعشرين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾، حَجُّهُ من عِماد الإسلام؛ قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

جاء الشَّرعُ بالأمر ببلوغ رحابِه لأداء فريضة الدِّين؛ قال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ؛ فَحُجُّوا**» (رواه مسلم).

حَجُّه من أجلِّ الأعمال عند اللَّه، فيه بذلٌ وعَطاءٌ وعَناءٌ وجزاء؛ يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **حَجٌّ مَبْرُورٌ**» (متفق عليه).

في أداء ركن الإسلام الخامس: غفرانُ الذُّنوب، وغسلُ أدرانِ الخطايا والعصيان؛ يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» (متفق عليه)، ومَنْ لَازَمَ التَّقوى في حجِّه أعدَّ اللَّهُ له الجَنَّة نزلاً، قال ﷺ: «**العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ**» (متفق عليه)، قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: «لَا يَقْتَصِرُ لِصَاحِبِهِ مِنَ الجَزَاءِ عَلَى تَكْفِيرِ بَعْضِ ذُنُوبِهِ؛ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ».

والأعمال توزن بالإخلاص، وإذا شَابَها شركٌ أو رياءٌ أفسدها؛ قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، ولا يَتِمُّ بِرُّ الحجِّ إلَّا بكسبٍ طيِّب تنزَّه عن شوائب المُحرَّمات ودَنَس الشُّبهات.

والصُّحبةُ الصَّالحة في الحجِّ عونٌ على الطَّاعة وحُسْن العبادة، والمُرُوءةُ في السَّفر بذل الزَّاد وقِلَّة الخلاف على الأصحاب، والإحسان إلى الرِّفقة عبادة متعديَّة النَّفع، قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: «صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي السَّفَرِ لِأَخْدِمَهُ؛ فَكَانَ يَخْدِمُنِي»، قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ يَشْتَرِطُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي السَّفَرِ أَنْ يَخْدِمَهُمُ اغْتِنَاماً لِأَجْرِ ذَلِكَ».

وخير زادٍ يَحملُه الحاجُّ: زادُ الخشية والتَّقوى؛ قال سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، ومن وصايا النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ بن جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» (رواه الترمذي).

ومِنَ البِرِّ في الحجِّ: إطعامُ الطَّعام فيه، وإفشاءُ السَّلام، وطِيبُ الكلام، ومعاملةُ الخلق بالإحسان إليهم، فلا تَحْقِرنَّ في حجِّك من المعروف شيئاً، «**وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**»، وأعزُّهم أصبرُهم على أذاهم، وخادم الحجيج المخلِصُ للَّه في رعايتهم شريكٌ لهم في الأجر والثَّواب؛ يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلَاثَةً الجَنَّةَ: صَانِعَهُ - يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ -، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَالمُمِدَّ بِهِ**» (رواه الترمذي).

ومَنْ أَمَّ البيتَ حقيقٌ بلزوم ثلاثِ خصال: ورع يَحْجِزُه عن معاصي اللَّه، وحِلمٍ يكفُّ به غضبَه، وحُسنِ الصُّحبةِ لِمَنْ يصحَبُه.

أيُّها المسلمون:

خيرُ ما يتقرَّبُ به العباد إلى ربِّهم: إظهارُ التَّوحيد في نُسُكِهم، وإخلاص الأعمال للَّه في قرباتهم، وما كان منها لغير اللَّه يَضمحلُّ؛ قال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾.

وإظهار النُّسك بالقول: فيه وحدانية للخالق؛ «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**»، وخيرُ ما نطق به النَّاطقون يومَ عرفةَ: كلمة التَّوحيد؛ قال ﷺ: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ: دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» (رواه الترمذي).

والتَّوكُّل على اللَّه من أجلِّ العبادات؛ قال سبحانه: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾، واليأسُ ليس من دين اللَّه في شيء؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

وما قدَّم أحدٌ حقَّ اللَّه على هوى نفسه وراحتها إلَّا ورأى سعادةَ الدُّنيا والآخرة؛ هَاجَر تَلْتَمِسُ الماء لها ولرضيعها في وادٍ غير ذي زرع بين جبلين، أَنْهَكَها العطش، وأَضْنَاها الإشفاق على صبيِّها، وبعد توكُّلٍ على اللَّه وبَذْلِ الأسباب؛ وجَدَت نَبْعاً مُتَدَفِّقاً لها وللأجيال بعدها، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ؛ لَكَانَتْ عَيْناً مَعِيناً**» (رواه البخاري).

واللَّه ﷻ بيده النَّفع والضُّر، فَارِجُ الكروب وكاشفُ الخطوب، متعالي على عباده، بيده مقاليد السَّموات والأرض، متَّصفٌ بالكبرياء

والعظمة، يُعْلِنُ ذلك الحاجُّ بالتَّكبير في أنساكه - في الطَّواف والسَّعي، ورَمْي الجمار، وفي يوم النَّحر وأيَّام التَّشريق -؛ ليبقى القلب مُجرَّداً للَّه، متعلِّقاً به، منسلخاً عن التَّعلُّق بما في أيدي المخلوقين.

وفي رَمْيِ الجمار تذكيرٌ لبني آدم بعدوٍّ مُتربِّص بهم يدعوهم إلى النَّار، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ فكنْ على حذرٍ من تقصيرٍ في واجبٍ أو وقوعٍ في معصيةٍ تُورِدُكَ المَهالِك.

واعلم أنَّ لحظاتِ الحجِّ عزيزةٌ وساعاته ثمينة، قال ﷻ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾؛ فسابق فيه إلى كلِّ خيرٍ وقُربةٍ - من الذِّكر، والاستغفار، والتَّكبير، وتلاوة القرآن -؛ قال سبحانه: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾.

وبعد انقضاء النُّسك: احْمَدِ اللَّهَ على الهداية، واشْكُرْه على العبادة: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾.

وفي ثنايا النُّسك: استغفارٌ ورجوعٌ إلى اللَّه؛ قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الِاسْتِغْفَارُ مِنْ أَكْبَرِ الحَسَنَاتِ، وَبَابُهُ وَاسِعٌ، فَمَنْ أَحَسَّ بِتَقْصِيرٍ فِي قَوْلِهِ أَوْ عَمَلِهِ أَوْ حَالِهِ أَوْ رِزْقِهِ أَوْ تَقَلُّبِ قَلْبٍ؛ فَعَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالاسْتِغْفَارِ، فَفِيهِمَا الشِّفَاءُ إِذَا كَانَا بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ».

والعباد في الحجِّ على قَدْر هِمَمِهم؛ منهم من يطلبُ الدُّنيا العاجلة، ومنهم من يطلبُ مرضاةَ اللَّهِ والدارَ الآخرة؛ قال سبحانه: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾.

والموفَّق من أدَّى حجَّه بنيَّة صالحة خالصة، ونفقة طيِّبة، وعطَّر لسانه بذكر اللَّه، وصاحَبَ عبادتَه إحسانٌ ونفعٌ للمخلوقين؛ فكونوا في حجِّكم كذلك، وأخلِصوا دينكم للَّه، واجتهدوا في الأعمال الصَّالحة، وسارعوا إلى جنَّات ربِّكم.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمداً عبدُ اللَّه ورسوله، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ، أيُّها المسلمون:

أظلَّتْكم أيَّامُ عشرٍ مباركة، الأعمالُ فيها فاضلة، يقول النَّبيُّ ﷺ: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ** - يَعْنِي: أَيَّامَ العَشْرِ -، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: **وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**» (رواه أبو داود)؛ فأكثِروا فيها من التَّكبير والتَّحميد، وقراءة القرآن، وصلة الأرحام، والصَّدقة، وبرِّ الوالدين، وتفريج الكربات، وقضاء الحاجات، وسائر أنواع الطَّاعات، قال شيخ الاسلام رحمه الله: «أَيَّامُ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ أَفْضَلُ مِنْ أَيَّامِ العَشْرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَاللَّيَالِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ لَيَالِي عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ».

ولقد كان الصَّحابة رضي الله عنهم يُحيُون في العشر سُنَّة التَّكبير بين النَّاس؛ «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ العَشْرِ، يُكَبِّرَانِ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا» (رواه البخاري).

والخيرُ يتتابع في العشر بذبح الأضاحي يوم العيد وأيَّام التشريق، وقد «ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ» (متفق عليه)، وأفضل الأضاحي: أغلاها ثمناً وأنفسُها عند أهلها، وتُجزي شاة واحدة عن الرَّجُل وعن أهل بيته، ويَحْرُم على من يضحِّي أن يأخذ - في العَشْر - شيئاً مِنْ شَعرِه أو أَظْفَارِه أو بَشَرَتِه إلى أن يضحِّيَ؛ فطِيبوا بها نفساً، وكُلُوا، وأَطْعِموا، وتصدَّقوا، وتحرَّوْا بصدقاتكم فقراءكم، وبهداياكم منها أرحامكم وجيرانكم، وصُونُوا أعيادكم عمَّا يُغْضِب خالقكم، وشاركوا الحجيج في الدُّعاء والتَّهليل والتَّكبير.

ومَنْ أقام في بلده وسَبَقَهُ الحجَّاجُ إلى المشاعر؛ شُرِعَ له صيامُ يوم عَرَفة؛ يقول عليه الصلاة والسلام: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**» (رواه مسلم).

فاغتنموا مواسم العبادة قبل فواتها؛ فالحياة مَغْنَم، والأيَّام معدودة، والأعمار قصيرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

مَقَاصِدُ الحَجِّ[(١)]

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واستمسِكُوا من الإسلام بالعُرْوة الوُثْقَى.

أيُّها المسلمون:

يُوالِي اللَّهُ على خلقِه مواسِمَ الطاعات؛ لِيَغسلوا فيها درَنَهم، وتَعلُوَ بها درجاتُهم، ورُكنٌ من أركان الإسلام أقسمَ اللَّه بالزَّمان الذي هو فيه: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، وأقسمَ بالمكان الذي يُؤدَّى فيه؛ فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾، قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ بِمَكَّةَ أُمِّ القُرَى فِي حَالِ كَوْنِ السَّالِكِ فِيهَا حَالّاً؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى عَظَمَةِ قَدْرِهَا فِي حَالِ إِحْرَام أَهْلِهَا»، وهو من أفضلِ الأعمالِ عند اللَّه، سُئل النَّبيُّ ﷺ: «أيُّ

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، السادس من شهر ذي الحِجة، سنة أربع وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **حَجٌّ مَبْرُوْرٌ**» (متفق عليه)، قال ابنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا ظَهَرَ الإِسْلَامُ وَفَشَا وَصَارَ الجِهَادُ مِنْ فُرُوضِ الكِفَايَةِ عَلَى مَنْ قَامَ بِهِ؛ فَالحَجُّ حِينَئِذٍ أَفْضَلُ».

وفي يوم من أيامِه يُباهِي اللَّه بحُجَّاج بيتِه أهلَ سمواته؛ قال ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**» (رواه مسلم).

في أدائِه غسلُ الذُّنوبِ والخطايا، قال ﷺ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» (متفق عليه)، قال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَظَاهِرُهُ: غُفْرَانُ الصَّغَائِرِ وَالكَبَائِرِ وَالتَّبِعَاتِ»، وبالحجِّ تُهدَمُ الآثامُ والأوزارُ، قال ﷺ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟! وَأَنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟! وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟!**» (رواه مسلم)، قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: يُسْقِطُهُ وَيَمْحُو أَثَرَهُ».

رُكنٌ مليءٌ بالدُّروس والعِبَر، أعظمُ مقصدٍ فيه: توحيدُ اللَّه وإفرادُه بالعبادة، فالدُّخولُ فيه بإعلانِ التَّوحيد والبراءةِ من الشِّرك: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**»؛ ولإظهار التَّوحيد والتَّنزُّهِ من الشِّرك بُنِيَت الكعبة: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، وإذا ظَهرَ التَّوحيدُ في الأوطانِ؛ حلَّ الأمنُ والأمانُ فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً

﴿لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾، في الحجِّ يتجلَّى الإيمانُ بالرُّسل وتتجدَّدُ محبَّتُهم، فالنَّحرُ والرَّميُ والطَّوافُ سُنَّةُ أبينا إبراهيم عليه السلام.

والدُّعاءُ هو العبادة، ودعواتُ الحاجِّ تُرْتَجَى إجابتُها، ودعواتُ الخليلِ إبراهيمَ عليه السلام بقَبول العمل والثَّباتِ على الإسلام ورُؤيةِ المناسِك، وأنْ يُبْعَث في مكَّة رسولٌ يتلو عليهم آياتِ اللَّه ويعلِّمُهم الكتابَ والحكمة، وأنْ تكون مكَّةُ بلداً آمناً والرِّزقُ فيها دارّاً، والنَّاسُ تهوِي إليها، وأنْ يُجنَّبَ هو وأبناؤُه عبادةَ الأصنام، وأنْ يكون هو وذُرِّيَّتُه من مُقيمِي الصَّلاة، ودعاؤُه لنفسِه وللمؤمنين بالمغفِرة، كلُّ ذلك كان عند بيت اللَّه الحرام.

ودعواتُ النَّبيِّ ﷺ تَنوَّعتْ في مواطنَ مِنْ حَجِّه - كيوم عَرَفَة -، وعلى الصَّفا والمروة، والحاجُّ يغتنِمُ في حجِّه الإكثارَ من الدُّعاء أُسوةً بالأنبياء.

والتَّوَكُّل على اللَّه أحدُ رُكنَي العبادة، إبراهيمُ عليه السلام بنَى الكعبةَ مُتوكِّلاً على اللَّه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾؛ فرأى النَّاسُ ثمرةَ توكُّلِه: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾، وفي اجتماعِ الخلقِ في موقفٍ واحدٍ تذكيرٌ بفضلِ هذه الأمَّة وعظَمَةِ دينِها.

في الحجِّ توثيقُ عقيدةِ الولاءِ والبراءِ؛ أمر النَّبيُّ ﷺ عَلِيَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه أَنْ يُناديَ في الموسم: «**أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ**

العَامِ مُشْرِكٌ» (رواه البخاري)، وفيه مُخالفةُ الكُفَّارِ في عباداتهم الجاهليَّة - من التَّلبِيَة، وزَمَن الدَّفْع من مُزدلِفَة، وكثرة ذِكر اللَّه وحدَه بعد انقِضاء النُّسُك -، قال ابن القيِّم ﷫: «اسْتَقَرَّتِ الشَّرِيعَةُ عَلَى قَصْدِ مُخَالَفَةِ المُشْرِكِينَ لَا سِيَّمَا فِي المَنَاسِكِ».

الحجُّ أطولُ عبادةٍ بدنيَّة وأدقُّها في الإسلام، والعباداتُ فيه مُتنوِّعةٌ - من تلبيةٍ، وطوافٍ، وسعيٍ، ومَبيتٍ، ورميٍ، وحلقٍ، ونحرٍ -، وتعظيمُ الشَّعائِر فيها وتكميلُ العُبوديَّة فيها من تقوى القُلوب، قال ابن القيِّم ﷫: «وَرُوحُ العِبَادَةِ هُوَ: الإِجْلَالُ وَالمَحَبَّةُ، فَإِذَا تَخَلَّى أَحَدُهُمَا عَنِ الآخَرِ؛ فَسَدَتْ».

في النُّسُك حثٌّ على توطِين النَّفس على الصَّبرِ على الطَّاعات، قالت عائشةُ ﵂: «نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: **لَا، لَكُنَّ أَفْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ**» (رواه البخاري).

والاستِجابةُ للَّه - وإن لم تظهَر الحكمةُ للمأمور - من واجِبات الاستِسلام للَّه، قال اللَّه لإبراهيم ﵇ - وهو في وادٍ غيرِ ذي زرعٍ -: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾، فاستجابَ لأمرِ اللَّه وأذَّن بالحجِّ، وقدِمَ النَّاسُ إلى بيتِ اللَّه الحرامِ، مُتشوِّفةً إليه نفوسُهم، باذِلةً في سفَرها الأموالَ وهي فرِحةٌ مُستبشِرة، قال ابنُ كثيرٍ ﵀: «فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ إِلَّا وَهُوَ يَحِنُّ إِلَى رُؤْيَةِ الكَعْبَةِ وَالطَّوَافِ، فَالنَّاسُ يَقْصِدُونَهَا مِنْ سَائِرِ الجِهَاتِ وَالأَقْطَارِ».

رُكنٌ يُحقِّقُ الامتِثالَ لأوامرِ النَّبيِّ ﷺ، قال عُمَر بن الخطَّاب رضي الله عنه - عن الحجَر الأسود -: «وَاللَّهِ، إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» (متفق عليه).

والعباداتُ مبنَاها على الاتِّباع ولا محلَّ فيها للابتِداع؛ فالطَّوافُ والسَّعيُ سبعةُ أشواطٍ، وتخفَى حكمةُ عددها على العقول، لذا قال النَّبيُّ ﷺ للحَجيج: «**لِتَأْخُذُوا** - عَنِّي - **مَنَاسِكَكُمْ**» (رواه مسلم)، والطَّوافُ لم يأذَن اللَّهُ به إلَّا حولَ الكعبَة، وطوافٌ بغيرِها تبَاب.

والوقتُ عند المُسلم ثمينٌ، ولكلِّ يومٍ في الحجِّ عبادةٌ مُغايرةٌ لأُختِها، ولكلٍّ منها زمنٌ بانقِضائِه تنقضِي؛ فالإفاضةُ من عرفة بعد الغروب، وزمنُ المَبيتِ بطُلُوع الشَّمسِ ينقضِي، والتَّجرُّدُ عن المَخيطِ مُذكِّرٌ بدنُوِّ ساعةِ لُبس أكفَان الموت، وساقَ اللَّه في آخرِ آياتِ الحجِّ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تذكيراً بذلك.

وتفاضُل منازِل النَّاس بالتَّقوى، وتحصيلُها في الحجِّ خيرُ مغنَم: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾، والقلوبُ تحيَا بذِكر اللَّه، واللَّهُ أمرَ بالإكثَارِ من ذِكره تعالى في جميعِ أيَّام الحجِّ، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾، وخصَّ تعالى مواطِنَ يُكثَرُ فيها من ذِكره؛ فقال: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾، وقال: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾.

وإذا فَرَغ الحاجُّ من المناسِك أمرَه اللَّه بالإكثارِ من ذِكرِه، فقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، وقال ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالكَعْبَةِ، وَبَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَرَمْيُ الجِمَارِ؛ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ» (رواه أحمد).

في الحجِّ غَرْسُ الصِّفاتِ والأخلاقِ الحَميدة، والحثُّ على كلِّ خيرٍ، قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾، وفيه ترسيخُ مبدأ الأُخوَّةِ وتبادُل المنافِع الدِّينيَّة والدُّنيويَّة؛ قال سبحانه: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾، قال القُرطبيُّ رحمه الله: «مَنَافِعُ لَهُمْ مِنْ نُسُكٍ وَتِجَارَةٍ وَمَغْفِرَةٍ، وَمَنْفَعَةِ دُنْيا وَأُخْرَى»، وفي شعائِره أُلفةُ المُجتمع ولُحمَتُه؛ قال سبحانه: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾.

وبعدُ، أيُّها المسلمون:

فثمرةُ الحجِّ الفوزُ بجنَّات النَّعيم، قال ﷺ: «**الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ**» (متفق عليه)، فطُوبَى لمن حجَّ بيتَ اللَّهِ الحرام مُخلِصاً نيَّتَه للَّه تعالى، مُقتدِياً في نُسُكِه بالنَّبيِّ ﷺ، راجِياً ثوابَ اللَّهِ والدَّارَ الآخرة.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّهِ على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّهُ عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

اللَّهُ ﷻ لطيفٌ بعباده، فمَنْ لم يستطِع حجَّ بيت اللَّه العتيق شُرِع له مُشاركةُ الحَجيج بالذِّكر والتَّكْبِير في هذه العَشرِ المُبارَكة، وصومُ يوم عرفةَ لغير الحاجِّ فيه تكفيرُ الخطايا، قال ﷺ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**» (رواه مسلم).

وأيَّامُ المُسلمين أيامُ فرَحٍ وسُرورٍ، واللَّهُ شرعَ لهذه الأُمَّة إظهارَ فرحِها بالعبادة بعد أداء رُكنَين من أركان الإسلام؛ فعِيدٌ بعد صيام رمضان، وعِيدٌ ثانٍ بعد يوم عرفة، وشرعَ اللَّهُ فيها الأكلَ والشُّربَ وذِكرَه سبحانه، قال ﷺ: «**أَيَّامُ التَّشْرِيقِ: أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرٍ لِلَّهِ**» (رواه مسلم)، وذِكرُ اللَّه تعلُو منزلتُه حين غفلَةِ النَّاسِ بأفراحِها، أو الانشغالِ عنه في أتراحِها، وخيرُ أيَّام العيدِ ما كان ذِكرُ اللَّه فيها ظاهراً.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَطْوَلُ عِبادَةٍ بَدَنِيَّةٍ: الحَجُّ(١)

إنَّ الحمدَ للَّه، نَحمدُه ونَستعينُه ونَستغفرُه، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، وراقبُوه في السِّرِّ والنَّجوى.

أيُّها المسلمون:

اللَّهُ سبحانه هو الغَنيُّ القويُّ، وما سواه مُفتقِرٌ إليه مُحتاجٌ له؛ فلم يَخلُقِ الخلقَ تكثُّراً بهم ولا تقويةً لجلاله، بل خَلقَهم لحكمةٍ عظيمةٍ هي: عبادتُهم له، وبعبادتهم له يَسعَدون.

ولِفَضلِه ورحمتِه بِخلقِه شرعَ لهم أعمالاً وأقوالاً يتقرَّبون بها إليه، ولِتتضاعَفَ أجورُهم ولِتُقضى عنده حاجاتُهم، وفاضَلَ سبحانه بين عباداته فجَعَلَ تَحقيقَ التَّوحيد والعملَ به واجتنابَ نواقِضِه أجلَّ عملٍ

---

(١) أُلقيت يوم الجمعة، الأول من شهر ذي الحِجة، سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

يُحبُّه اللَّه، وجعل إظهارَ هذه العبادةِ بالقول أزكى الأقوالِ إليه؛ قال ﷺ: «أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» (رواه مسلم)؛ بل جعل سبحانه توحيدَه شرطاً لِقَبولِ أيِّ عملٍ صالحٍ، وإن انتقضَ هذا الشَّرطُ لم ينتفِعِ العبدُ بعمله ورُدَّ عليه؛ قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

ولتحقيقِ أساسِ الدِّين وإظهارِه في أقوال العباد وأعمالهم؛ نوَّع سبحانه الطَّاعاتِ والأعمالَ الصَّالحةَ ليُعظَّمَ الرَّبُّ في كلِّ حين، فما إنْ ينتهي موسمٌ إلَّا ويَعْقُبُه موسمٌ آخر يُظهِرون فيه توحيدَه سبحانه والتُّذلُّلَ إليه؛ فشرعَ سبحانه أطولَ عبادةٍ بدنيَّةٍ مُتَّصلةٍ يتلبَّسونَ بها أيَّاماً لإظهارِ إفرادِ اللَّهِ بالعبادةِ وحدَه وأنَّ عبادةَ ما سواه باطلة، ولِتَزْكُوَ بها أبدانُهم وأموالُهم، وتَطهُرَ بها قلوبُهم وأفواهُهم، فمَنْ أدَّاها كما أَمَرَهُ اللَّهُ عادَت صحائِفُ أعمالِه بلا أدرانٍ ولا خطايا، قال ﷺ: «مَنْ أَتَى هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» (متفق عليه).

ويَتعرَّضُ الحُجَّاج في هذه العبادة لنفَحاتِ ربهم في مكانٍ عظيم، وفي يومٍ هو أكثرُ أيامٍ تُعتقُ فيه الرِّقابُ من النَّار؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» (رواه مسلم)، ومَنْ كان حافظاً لحجِّه ممَّا حرَّم اللَّه وعدَه اللَّه بالجنَّة؛ قال ﷺ: «الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ» (متفق عليه).

الحجُّ ركنٌ من أركان الدِّين، مليءٌ بالمنافع والعِبَر، أمرَ سبحانه بفِعلِه في أطهر بُقعةٍ وأشرفِها؛ لِيجتمِعَ شرفُ العمل والمكان، بنى الخليلُ فيها بيتَ اللَّه وأسَّسه على التَّقوى والإخلاص، وأبقَى اللَّه ما بناه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيرَى العبادُ أنه لا يبقى من العمل إلَّا ما كان خالصاً لوجه اللَّه، ويَستفتِحُ الحُجَّاجُ عبادتَهم بإظْهار الوَحدانيَّةِ للَّه وحده، والبراءةِ من عبادة ما سواه: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ».

وشهادةُ أنَّ مُحمَّداً رسولُ اللَّه لا تَتِمُّ إلَّا بطاعة النَّبيِّ ﷺ واقتفاءِ أثَره، وتقبيلُ الحجرِ الأسودِ منهجٌ في الطَّاعة والاتِّباع، فتقبيلُه تعبُّداً لا تبرُّكاً بالحجر، فهو لا يَنفعُ ولا يضُرُّ؛ جاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الحجَر فقبَّله وقال: «وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» (متفق عليه).

وفي التَّلبُّسِ بالإحرام دعوةٌ للنَّفس إلى عصيان الهوى - فلا لُبسَ مخيطٍ ولا مسَّ طِيبٍ ولا تقليمَ أظافر ولا خِطبةَ نكاح -.

وسوادُ الحجرِ الأسود تذكيرٌ للعباد بشُؤم المعصيةِ حتى على الجمادات، وعِظَمُ أثرها على القلب أشدُّ؛ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «نَزَلَ الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الجَنَّةِ وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ؛ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ» (رواه الترمذي).

ويرى الحاجُّ أثرَ المعصية على العاصي، فإبليسُ ظهر لإبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاث مرَّاتٍ ليمنَعه عن امتثال أمر ربِّه بذبح ابنه إسماعيل؛ فرماهُ الخليلُ

بالحجَر مُهيناً ومُظهِراً له العداوة، وعودةُ خروجه على الخليل تذكيرٌ من اللَّه لنا بأنَّ إبليس يُعاوِدُ وسوستَه لبني آدم وفي عدة مواطن.

والحجُّ إعلامٌ بأنَّ الإسلامَ هو الدِّينُ الحقّ، فلا ترى خَلْقاً يجتمعون من بِقاع الأرض على تبايُنِ أجناسِهم ومواطِنهم وطبقاتهم إلَّا في الحجّ، وهذا من عظمة الإسلام.

وفي الحجِّ إظهارُ معنًى من معاني الرُّبوبيَّة، وأنَّ قلوبَ العباد يُصرِّفُها اللَّه كيف يشاء، فيرى الحاجُّ وغيرُه أن الهدايةَ بيد اللَّه وحده، وفضلُ اللَّه يُؤتيه من يشاء.

وفي أداءِ هذا الرُّكن انتظامُ عبادةٍ بعد أخرى، ودِقَّةٌ في العمل والزَّمن، فعبادةٌ باللَّيلِ - كالمبيت بمُزدلِفة -، وأخرى بالنَّهارِ - كالوقوف بعرفة -، وعبادةٌ باللِّسانِ بالتَّكبيرِ والتَّلبية، وأخرى بالجوارح - كالرَّمْيِ والطَّواف -، وفي هذا إيماءٌ إلى أنَّ حياةَ المسلم كلَّها للَّه.

والأعمالُ بالخواتيم، وقد يُرى أَثَرُ خِتامها في المحشَر؛ فالمُتصدِّقُ يُظَلُّ يوم القيامة بظلِّ صدقَته، والعادلُ في حُكمه على منابِرَ عن يمين الرَّحمن، ومَنْ مات مُحرِماً بُعِثَ مُلبِّياً.

وعلى العبدِ إذا انشقَّ فجرُ يومه أن يَعُدَّه خِتامَ عُمره؛ عملاً بقول النَّبيِّ ﷺ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» (رواه البخاري)، ومَنْ علَّق قلبَه باللَّهِ والدَّارِ الآخرة، وقصَّرَ أمله في الدُّنيا وتزوَّد بزاد التَّقوى ظفَرَ بالنَّجاة والفلاح.

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ * لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه على إحسانه، والشُّكر له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيُّها المسلمون:

خصَّ اللَّه أمكنةً بالشَّرفِ والفضلِ، واختارَ اللَّه من العام أزمِنةً يزكُو بها العملُ الصَّالحُ ويتضاعَف؛ فاختارَ من الشُّهور: أشهُرَ الحجِّ ورمضان، ومن اللَّيالي والأيام: العَشْرَ الأخيرَة من رمضانَ وعشرَ ذي الحِجَّة، وأيَّامُ ذي الحِجَّة تفضُلُ على أيَّام العَشْرِ الأواخِرِ من رمضان، قال ﷺ: «**مَا العَمَلُ فِي أَيَّامِ العَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ العَمَلِ فِي هَذِهِ**، قَالُوا: وَلَا الجِهَادُ؟ قَالَ: **وَلَا الجِهَادُ؛ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ**» (رواه البخاري).

ومِنَ العَمَلِ الصَّالحِ فيها: المزيدُ من برِّ الوالدين وصِلَةِ الرَّحِم، والصَّدقَةِ والصَّوم، والذِّكرِ وتلاوةِ القرآن، وتفريجِ الكُرُوب والتَّكبير، وكان الصَّحابةُ رضي الله عنهم يُكبِّرون حتى في الأسواق.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

أَيَّامُ الحَجِّ(١)

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَنْ يَهده اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فاتَّقوا اللَّه - عبادَ اللَّه - حقَّ التَّقوى، واعتصموا به؛ فمَنِ اعتصمَ بحبلِ رجائِه وفَّقَهُ وهدَاه، ومَنْ لجأ إليه حفِظَه ووَقَاه.

أيُّها المسلمون:

في ربوعِ الأمنِ تَتَحقَّقُ الأماني، وفي البلدِ الأمينِ ترتفعُ نفوسُ الصالحين، ويتنعَّمُون بصفو الأيام والليالي، وحولَ بيتِ اللَّه يأمن الخائفون: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾، وقداسةُ البيت الحرام امتدَّت إلى أعظمَ من ذلك؛ فهو حرَمٌ لا يُصادُ فيه الطَّير، ولا يُنفَّر فيه الحيوان، ولا يُقطَع فيه النَّبات، ولا تُلتَقطُ لُقطَتُه إلَّا لِمُنْشِد.

والبيتُ المشرَّف هو العلَمُ الخالدُ للحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَة، ومَقْصِدُ

(١) أُلقيت يوم الجمعة، التاسع من شهر ذي الحِجة، سنة تسع عشْرة وأربع مئة وألف من الهجرة، في المسجد النَّبويِّ.

حُجَّاجِ بيت اللَّه، رُفِعتْ قواعدُه على الإخلاص، ونهض على الخشية والتَّقوى، رُفِع بأكفِّ نبيٍّ، وبمشاركة نبيٍّ، وهما يرفعان أشرفَ معمورٍ يخشيان أن لا يُتقبَّل منهما العمل، فلجآ إلى اللَّه: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ فأصبح البيتُ المشرَّفُ شامخَ البنيان، ثابتَ الأركان، يُطاولُ الزَّمان في مَنَعَةٍ من اللَّه وأمان، يَتعاقبُ الأجيالُ على حجِّه، ويتنافسُ المسلمون في بلوغ رِحابِه.

في وَاحَتِه الأمنُ والاطمئنان، وفي جِوَارِه الخيرُ والثَّمرات: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

عند البيت تصفو الأرواح، ويرِقُّ القلب، إنَّه القِبلة التي يتوجَّهون إليها وتَستديرُ الصُّفوفُ حوله، يجدون عنده الرَّايةَ التي يَستظلُّون بها، ويسيرون في ركابها، إنَّها رايةُ الإيمان التي تتوارى في ظلِّها فوارقُ الأجناس والألوان، واللُّغاتِ والأقطار، يجدون قوةَ الاجتماع، وثمرةَ التَّضامن، داعي هذا الجمع العظيم دعوةُ خليلِ الرَّحْمَن: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾.

وغايةُ هذا اللِّقاء: تجريدُ القصدِ والعملِ للَّه.

أيُّها المسلمون:

الحجُّ مَجْمَعُ الإسلام الأعظم، تلتقي فيه الجموعُ على دعوة أبيهم إبراهيم، ولا تزال أفئدةُ المسلمين تهوي إلى البيت الحرام، وتتشوَّفُ إلى رؤيتِه والطَّوافِ به، والعكوفِ حوله.

وتَستَجْمِعُ الأحداثَ الماضية؛ فتتذكَّرُ إبراهيمَ وهو يودِّع إسماعيلَ وأمَّه قربَ البيت، ويفوِّضُ أمرَهم إلى الخالق، ويتوجَّه إلى اللَّه تعالى بالدُّعاء توكُّلاً: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾.

ويتذكَّرُ هَاجَرَ وهي تَلْتَمِسُ الماءَ لها ولِرَضِيعِها في ذلك الوادي - وهي تُهَرْوِلُ بين الصَّفا والمَرْوَة - وقد أَنْهَكَهَا العطش، وأضعَفَها الجَهد، وأَرْهَقَها الإشفاق على طفلها، وفي تلك الحال العسيرة: لم تلجأ إلى صنمٍ أو وثنٍ أو حجرٍ لِتتوسَّلَ به؛ بل جَأَرَتْ إلى اللَّه الواحد الأحد، فإذا الماءُ يتدفَّقُ بين يدي الرَّضيع، وإذا هو زمزم - ثمرةُ التَّوكُّلِ على اللَّهِ - ينبوعُ الرَّحمةِ والخيرِ والبركةِ في صحراء اللَّأواء والجدب: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾.

وفي سَعْيِ هَاجَرَ: إشعارٌ بأهمية الدُّعاءِ والتَّوكُّلِ على اللَّه، في ظلٍّ من رحمةِ اللَّه وتوفيقِه إلى الارتباط به في كلِّ مسعًى - سواءٌ أكان بين الصَّفا والمَرْوَة، أم كان بين دروب الحياة وصعابها -.

ثمَّ تتواكبُ المواقفُ والأحداثُ في خواطر الحاجِّ؛ فيتذكَّرُ رسولَ الهدى ونبيَّ الرَّحمةِ - مُحمَّداً ﷺ - وهو يعيشُ في طفولته وصباهُ في بَطْحاءِ مكَّة، يتيمَ الأبوين، يرعى الغنمَ حول هذا البيت، وإذا الرِّفعةُ بالرِّسالةِ الخالدةِ تُحِيطُ به، ويلاقي بسببها الكثيرَ من السُّخرية والإيذاء، ثمَّ يهاجرُ إلى المدينة، ويَلتمسُ القوَّةَ والمَنَعَة للإسلام، ثمَّ يعودُ إلى مكَّة وهو يقود النَّاس في حجَّة الوداع، وأصحابُه الكرامُ حولَه يُحيطون

به من كلِّ جانب، ويَتحقَّقُ وعدُ اللَّه لأنبيائه وأتباعهم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾.

أيُّها المسلمون:

في الحجِّ إخلاصُ القلب من كلِّ حظٍّ وهوًى، وتسليمُ النَّفس عبوديةً للَّه ورِقّاً؛ فيه براءةٌ من الذُّنوب وخَلَاصٌ من التَّبِعَات، وتخلُّصٌ من النَّار وفوزٌ بالجنَّة. ويتلاشى فيه فواصلُ الجنسِ واللُّغةِ واللَّون، ويثبتُ فيه ميزانُ التَّقوى الثَّابت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾.

في الحجِّ عبادةٌ ونُسُك، طاعةٌ وانقياد، مجاهدةٌ وصبر، شكرٌ وتلبية، سكينةٌ ووقار، ذلٌّ وانكسار، فيه تنوُّعٌ في العبادة واختلافٌ في القُرَب؛ فَذِكْرُ اللَّه مع الحاجّ: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾، وفيه الاستغفار: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾، ذِكْرُ اللَّه مصاحبٌ لهم كلَّما أقاموا أو ارتحلوا، أو هَبطوا ثَنِيَّة أو صَعِدوا، وشرفُ الحجيج: «لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ».

عبادَ اللَّه:

في يومِ عرفاتٍ الأغرِّ تشهدُ أرضُها أفواجاً من الحجيج، تُسْكَبُ فيه العبرات، وتُقَالُ فيه العثرات، وتُمْحَى السَّيِّئات؛ فما من يومٍ أكثر عتقاً من النَّار من يوم عرفة، مع غفران المولى للذُّنوب ومباهاةِ اللَّه ملائكتَه بأهل الموقف.

وقوفُهم وانصرافُهم؛ تذكيرٌ للمؤمن بموقف العباد في أرض المحشرِ لفصلِ القضاءِ في عرصاتِ القيامة، ولو رأيتَهم إذْ باتوا في مزدلفة، فبيَّتُوا الطَّاعة، وازدلفوا إلى اللَّه صباحاً بالذِّكر عند المشعر الحرام، ثمَّ بَلَغُوا مِنى - فيتمُّ لهم بذلك بلوغ المُنى - ورمَوُا الجَمَرَات، وحلقوا الرُّؤوس، ونحروا الهَدْيَ، والتَمَسُوا من اللَّه الرَّشادَ والهُدَى، وأمُّوا البيتَ الحرامَ لطواف الإفاضة والسَّعْي بين الصَّفا والمَرْوَة؛ فأتمُّوا بذلك الحجّ.

فحَبَّذا العملُ المبرور، ونِعْمَ السَّعيُ المشكور؛ فعلى مثل هذا النَّهج فليعملِ العاملون، وفي بذل الجهد لطاعة اللَّه فليتنافسِ المتنافسون؛ فطُوبى لِمَنْ لبَّى نداءَ ربِّه، وطافَ بالكعبة المُشرَّفة! ويا فوزَ من وقفَ بعرفاتٍ ولبَّى وكبَّر؛ فغُفِرَت ذنوبُه ونالَ الحظَّ الأوفر!

أعوذ باللَّه من الشَّيطان الرَّجيم

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.

بارك اللَّه لي ولكم في القرآن العظيم ...

الخطبة الثَّانية

الحمد للَّه الَّذي وفَّقَ مَنْ شاء مِنْ عباده لزيارةِ بيتِه الحَرَام، وخصَّهُم بالشَّوْقِ إلى تلك المَشَاعِرِ العِظَام، أَحْمَدُه سبحانه على جزيلِ الفضلِ والإِنْعَام.

وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، المَلِكُ العلَّام.

وأشهد أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً عبده ورسوله، خيرُ معلِّمٍ وإمام، صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه البَرَرةِ الكرام.

أيُّها المسلمون:

إنَّ من مقاصدِ الإسلام في تشريعِ الحجِّ: تقريرَ مبدأ الأخوَّةِ الإسلاميَّةِ تحتَ كلمةِ التَّقوى وشهادةِ الحقّ.

وفي الحجِّ يأْتَلِفُ عِقْدُ المسلمين، ويُشْعَرُ بعظمةِ الإسلام وعزَّةِ الإيمان، تَتَّضحُ فيه معاني المساواةِ الإسلاميَّةِ الظاهرة في أظهرِ صوَرِها وأبهى معانيها، وتسود المحبَّة والوئام.

تتجلَّى الوِحْدةُ والأُلفة حين يقفُ المسلمون جميعاً على صعيدٍ واحد، في وقتٍ واحدٍ بلباسٍ واحد، بدعاءِ ربٍّ واحد، في ضراعةٍ وخشوعٍ للَّه، لا فرقَ بين جنسٍ وجنس، ولا امتيازَ لفردٍ على فرد، ولا تفضيلَ للونٍ على لون، ولا عجبَ أنْ أنزلَ اللَّه في هذا اليوم - في حجَّة الوداع - آيةَ الكمال للدِّينِ الإسلاميِّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ

﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، ومنطلَقُ الوحدةِ على هَدْيِ كتاب اللَّه وسنَّةِ رسوله ﷺ؛ يُثْمِرُ التَّعاونُ على البرِّ والتَّقوى الموصلةِ إلى جَمْعِ الكلمةِ وفهمِ الإسلام فهماً حقيقيّاً والعملِ به.

عبادَ اللَّه:

القاعدُ لعذرٍ عن العملِ الصَّالحِ شريكٌ للعامل، ورُبَّما سَبَقَ السَّائرُ بقلبه السَّائرين بأبدانهم، فكم من نيَّةٍ سبقت العمل؟! ومَنْ فاته الوقوفُ بعرفة؛ فليقم للَّه بحقِّه الذي عرَّفه، ومَنْ عجَز عن المبيت بمزدلفة؛ فلْيُبَيِّتْ عزمَه على طاعة اللَّه، وقد شُرِعَ له صيامُ يوم عرفة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ» (رواه مسلم).

فشاركوا الحجيج بالدُّعاء والتَّهليل، والتَّكبير والتَّحميد، وسائرِ أنواع الذِّكر؛ فربُّكم كريم، واغتَنِموا مواسم العبادة قبل فواتها؛ فالحياة مغنَم، والأيامُ معدودة، والأعمارُ قصيرة.

ثمَّ اعلموا أنَّ اللَّه أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ...

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ

دار الدليقان للتوزيع
لطلب الكميات ٠٥٦٤٤٤٨٤٥٤

دار الدليقان للتوزيع
لطلب الكميات ٠٥٦٤٤٤٨٤٥٤



سلسلة من خطب المسجد النبوي













ردمك: ١-٠٨٤٨-٠٤-٦٠٣-٩٧٨